جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

ملامح بدايات التأليف العلمي في كتاب سيبويه

Features of the Beginnings of Scientific Authorship in Sibawayh's Book

إعداد

د/علا بنت ياسين علي البار

أستاذ مشارك بجامعة الملك عبد العزيز- جدة ،قسم المواد العامة- تخصص لغة عربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الثالث-أغسطس)

(الجزء الثالث (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٧/٦٢٧١م

ملامح بدايات التأليف العلمي في كتاب سيبويه

علا بنت ياسين علي البار

قسم المواد العامة، تخصص لغة عربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: *Oyalbar@kau.edu.sa*

الملخص

يهدف هذا البحث إلى توضيح ملامح بدايات التأليف العلمي في كتاب سيبويه، وتوضيح مكانه من التطور المعرفي للدرس النحوي، ووقف البحث لأجل ذلك على مراحل نمو النحو وتطوره أصولا وفروعًا وأدوات قبل سيبويه، ثم وقف على ملامح بدايات التأليف العلمي في كتابه؛ ليخرج بتصور مفاده أن كتاب سيبويه نتاج سلسلة من الجهود قبله، وأنه يمثِّل نموذجًا مبكرًا لبدايات التأليف العلمي في النحو العربي يحمل في طياته ملامح تلك البدايات من وجود إشكاليات في المصطلح، وغلبة المنهج الوصفي، وطريقة عرض القاعدة، وغيرها من الملامح. كما أنه يعدُّ نقطة انطلاق فتحت للعلماء بعده أفق الكتابة العلمية المنظمة، واستمروا يطورون ويحسنون أنماط التأليف، وصياغة العبارة، واستعمال العلل، وتخصيص المؤلفات، وبلورة المصطلحات، وامتدَّ ذلك ليصلَ إلى تطوير استعمال الأصول النحوية؛ مما يؤيد أن التراث النحوي قائم في كلِّ مراحله على الجهد الجمعي، وأن كتاب سيبويه حلقة في سلسلة التراث النحوي، وإن كان فيها واسطة العقد.

الكلمات المفتاحية : ملامح بدايات التأليف العلمي ، التراث الشفهي ، الأصول النحوية ،الأدوات التحليلية ، الجهد الجمعي.

Features of the Beginnings of Scientific Authorship in Sibawayh's Book

Ola Bint Yassin Ali Al-Bar

Department of General Studies , Arabic Language Specialization , College of Arts and Humanities , Kingdom of Saudi Arabia

Email: *Oyalbar@kau.edu.sa*

Abstract

This research aims to clarify the features of the beginnings of scientific authorship in Sibawayh's book and to clarify its place in the cognitive development of grammatical studies. To this end, the research examines the stages of the growth and development of grammar, its origins, branches, and tools, prior to Sibawayh. It then examines the features of the beginnings of scientific authorship in his book, concluding that Sibawayh's book is the product of a series of efforts that preceded it, and that it represents an early model of the beginnings of scientific authorship in Arabic grammar. It bears within it the features of those beginnings, including problematic terminology, the predominance of the descriptive approach, the method of presenting the rule, and other features. It also represents a starting point that opened the horizon of organized scientific writing for later scholars. They continued to develop and improve their writing styles, phraseology, use of causal factors, specification of works, and the elaboration of terminology. This expanded to include the development of the use of grammatical principles, which supports the notion that the grammatical heritage is based, in all its stages, on collective effort. Sibawayh's book is a link in the chain of grammatical heritage, even if it is merely a link in the chain.

Keywords: *Features Of The Beginnings Of Scientific Writing, Oral Heritage, Grammatical Principles, Analytical Tools, Collective Effort*.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العلم نورًا يُهتدى بقبسه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، الهادي الأمين، المؤيَد بالبيان، والناطق بأفصح لسان، **وبعدُ**،

بدأ النحو العربي بسبب مشكلة لغوية طرأت على متكلمي العربية، وكان المحركُ الأولُ لبدايته هو العامل الديني، فقد بدأ الفكر النحوي خدمة للقرآن الكريم، وخوفًا من وقوع اللحن في قراءته. واستمرَّ تأثير العامل الديني ليتجاوز مرحلة النشأة ويكون محرِّكًا لنمو الدراسات النحوية وتطورها؛ لتتوسع إلى تحليل التراكيب، وتوجيه القراءات؛ مما جعل الدَّرس النحوي ينمو ويتطور ويتعمق بصورة سريعة. فما أن انقضى قرن من الزمان ما بين بداية تفكير أبي الأسود (ت٦٩هـ) حتى وصل كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) ناضجًا تامَّ الأصول والفروع مستقرَّ النظرية، مهذَّبًا مبوَّبًا، حوى أبواب النحو ومسائله بصورة مميزة شهد له بها علماء عصره، تمت فيه ركائز العلم من سماع موثوق، وقياس رصين، وتعليل فطين، مع جودة في الصياغة العلمية. كل تلك العوامل جعلته من أبرز كتب التراث النحوي؛ حتى سموه قديمًا بـ"قرآن النحو"[(١)].

واستمرَّ تقدير العلماء والباحثين لكتاب سيبويه لكونه مجهودًا علميًّا رائدًا وشاملا حتى يومنا هذا، لكنَّ عباراتِ بعضِ تجاوزت الوصف العلميَّ إلى المبالغة البعيدة عن الدقة في وصف وتصوير كماله، حيث عدَّه بعضُهم مفاجأةً علمية[(٢)]، وجهدًا مروع النضج[(٣)]، وآية خارقة[(٤)]، وكأن المئة عام من الجهود المتواصلة، والنظر المكثف في

---

(١) عبد القادر بن عمر البغدادي. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: عبد السلام هارون. ط٤. (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨/ ١٩٩٧). ١/ ٣٧١.

(٢) أحمد أمين. ضحى الإسلام. ط٢. (دار الكتاب العربي. بيروت – لبنان). ٢/ ٢٨٥.

(٣) هدى أحمد الحمزي. القيمة العلمية لكتاب سيبويه. (مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية. ع٣٤. ٧ يوليو – سبتمبر ٢٠٢٠). ٢١٣.

(٤) شوقي ضيف. العصر العباسي الأول، ط٦. (القاهرة: دار المعارف). ١٢٣.

تراكيب القرآن، وأوجه القراءات وأشعار العرب كانت غيرَ كافية للوصول لذلك النضج. إنَّ مثل هذه المبالغات لتوحي بأن النحو قام على جهد فردي، وفكر واحد، وهو أمر بعيد عن واقع الدرس اللغوي، وتاريخ الدرس النحوي. ومن هنا ظهرت مشكلة البحث، وهي البحثُ في زعم النضج المفاجئ الذي ظهر في كتاب سيبويه، وتوضيحُ ملامح بدايات التأليف العلمي التي تثبت كونه يمثل نقطة انطلاق في تاريخ التأليف النحوي، تتلوها محاولات أكثر استقرارا. وتكمن أهمية البحث في تسليطه الضوء على مرحلة مهمة في تاريخ الدرس النحوي، وكشفه عن ملامح بدايات التأليف العلمي التي توضح أن كتاب سيبويه حلقة في سلسلة النمو المعرفي، كما تظهر أهميته في كشفه عن نمو الأصول النحوية والأدوات التحليلية وتفريع المسائل قبله. وقد سعى البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١. توضيح المراحل التي نما فيها النحو وتطور.
٢. الكشف عن تطور أصول النحو وأدواته التحليلية قبل سيبويه.
٣. إثبات سمة التطور الطبيعي، والجهد الجمعي للنحو العربي.
٤. الكشف عن ملامح بدايات التأليف في كتاب سيبويه.

وسيتم تحقيق ذلك عن طريق إعادة قراءة التاريخ، ثم الوقوف على كتاب سيبويه واستخلاص ملامح بدايات التأليف العلمي الناضج، وبالتالي معرفة موقع الكتاب من التطور المعرفي، ومكانته في الدرس النحوي. وليس الهدف من البحث التقليل من جهد سيبويه على الإطلاق، فسيبويه عالم متفرد حرَّكه خطأ واحد لأن يكون عَلَمًا على عِلمٍ بأكمله، وجهده في الكتاب جمعًا وشرحًا واستقصاءً وربطًا وتحليلا واستقراءً جعلَ منه قرآن النحو ومرجعَه الأول. وقد جمع البحث لتحقيق هذه الأهداف بين المنهج التاريخي من خلال تتبع تطور النحو وإسهامات النحاة، والمنهج التحليلي من خلال تحليل الروايات وتحليل تناول سيبويه وطرحه لبعض المسائل

للوصول إلى الملامح التي تدل على أن كتابه يمثل بداية التأليف العلمي الناضج المهذب.

وكان من ضمن الأسئلة التي حركت محاور البحث:

١. هل كان كتاب سيبويه أول محاولات التأليف في النحو؟
٢. هل كان خروجه على هذا النحو من النضج خروجًا طبيعيًّا؟
٣. كيف تطورت الأصول النحوية قبل سيبويه؟
٤. هل ظهر تفريع المسائل واستعمال أدوات التحليل النحوي قبله؟
٥. ما هي ملامح البدايات في كتاب سيبويه؟
٦. هل أغلق سيبويه باب الإنتاج الفكري في النحو بما قدمه؟

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة تعرض مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه والدراسات السابقة في هذا الصدد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدراسات النحوية قبل سيبويه، وفيه:

أ. مراحل تطور النحو العربي: وسيقوم البحث بالنظر في الروايات، وإعادة قراءة تاريخ النحو، وأعمال النحويين، وتقسيم النمو المعرفي لعلم النحو عبر ذلك التاريخ إلى مراحل حسب طبيعة العمل النحوي؛ لتوضيح انتقال العلم وتدرجه بشكل طبيعي.

ب. دلائل نضج النحو قبل سيبويه: وفيه وقوف على تطور الأصول النحوية، والأدوات التحليلية، وتفريع المسائل، وظهور نظرية العامل قبل سيبويه مع توضيح صور الحِراك العلمي التي ظهرت قبله.

المبحث الثاني: ملامح البدايات في كتاب سيبويه، وفيه:

أ. أهم ما يميز كتاب سيبويه: وفيه توضيح لأهم ما تميز به الكتاب منهجيًّا ومعرفيًّا.

ب. ملامح البدايات في كتاب سيبويه: وهي الملامح التي تُظهر كون كتاب سيبويه في مرحلة بداية التأليف العلمي الناضج.

المبحث الثالث: الدراسات النحوية بعد سيبويه: وفيه عرضٌ مجملٌ لبعض الإنجازات المحوريةِ في تاريخ الدرس النحوي، والتي من شأنها أن تثبت فكرةَ الجهدِ الجمعي، وسمةَ التطورِ المستمر، وعدمَ توقف الإنتاج الفكري بعد سيبويه.

وانتهى البحث **بخاتمة** تعرض أهم النتائج التي خرج بها.

الدراسات السابقة:

١.المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه (الجزء الأول):

د. محمد خير الحلواني

يهدف هذا الكتاب إلى الكشف عن نمو النحو في المرحلة الغامضة التي قد يُظنُّ بأنها فجوةٌ بين التأسيس وظهور كتاب سيبويه، من خلال بيان أثر العلماء بين المرحلتين، والوقوف على ما نُقل عنهم من حديث العلماء، وتراجمهم، فبدأ بمرحلة التأسيس على يد أبي الأسود (ت٦٩هـ) وانتقل إلى تلامذته وصولا الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ). ويتقاطع هذا الكتاب مع هذا البحث في عرض كليمها الفترة السابقة لكتاب سيبويه، وفي قصد الكشف عن تلك الجهود، ويختلفان في تفصيل ذلك الكتاب لجهود النحويين وحديثه عن كل عالم على حدة، في حين أن هذا البحث وقف دلائل نضج النحو قبل سيبويه انطلاقًا من تطور الأصول النحوية، والأدوات التحليلية، وتفرع المسائل وغيرها، مع محاولة تقسيم تلك الجهود إلى مراحل حسب طبيعة العمل النحوي فيها؛ لتوضيح المستوى العلمي الذي وصل إليه النحو في الأصول، واستخدام أدوات تحليلِ التراكيب، ونمو حركة التأليف، والوقوف على صور الحِرَاك العلمي قبل سيبويه، بالإضافة إلى دراسته ملامح بدايات التأليف العلمي المنظم، والتمثيل عليها بنماذج من كتاب سيبويه.

٢.الحلقة المقطوعة في تاريخ النحو العربي

د. محمد عطية محمد علي

درس انتقال الدرس النحوي من مرحلة التأسيس على يد أبي الأسود الدؤلي إلى ظهور كتاب سيبويه بهذا المستوى؛ ليبين أعمال العلماء السابقين وأثرهم في تطوير علم النحو، ويوضح مدى إفادة سيبويه ممن قبله. واستدلَّ باستخدام الخليل وسيبويه لفظ (النحويين المتقدمين) على استقرار علم النحو قبلهما. وكان ذلك البحث في أربعة مباحث: المبحث الأول: مسيرة النحو العربي قبل سيبويه، والمبحث الثاني: مصطلح النحويين والنحويين المتقدمين، والمبحث الثالث: علاقة كتاب سيبويه بالمؤلفات النحوية قبله. والمبحث الرابع: ناقش فيه الآراء التي تفترض مشافهة سيبويه للأعراب والآراء التي تنقض ذلك. وهذا البحث يشبه البحث الحالي في تناول كليهما الجهود النحوية قبل سيبويه، لكنه ينظر إليه من خلال دراسة إنجازات كلٍّ عالم بشكلٍّ مستقلٍّ في تسلسل تاريخيٍّ، في حين أن هذا البحث يتناول تلك الجهود تاريخيًّا انطلاقًا من تطور الأصول والأدوات وليس من العلماء؛ لتوضيح تطورها واستعمال النحويين لها قبل سيبويه، فضلا عن فكرة هذا البحث الأساسية وهي عرض ملامح بدايات التأليف العلمي الشاهدة على كون الكتاب قريبًا من مرحلة البدايات، والاستدلال عليها بأمثلة من كلام سيبويه في كتابه، وتوضيح صور الحِرَاك العلمي، والأمور التي استقرت ونضجت في النحو قبله.

المبحث الأول:

الدراسات النحوية قبل سيبويه:

من المعلوم أن بدايةَ أيِّ علمٍ تكون متناسبة وطبيعةَ المرحلةِ الأولى فيه، فهو لا يَظهر بشكل كامل بصورة مفاجئة، بل ينشأ في صورة بدائية [(١)]، ولعلَّ نشأته لا تعدو أن تبدأ بمشكلة تحتاج إلى حلٍّ، أو ملاحظة تُقيَّد فتكون بذرةً لذلك العلم وأصلا لنشأته، ثم لا تلبث أن تنمو وتتطورَ وتتفرعَ من أصولٍ ومبادئ إلى فروع ومسائل؛ وذلك التطور يكون على أيدي علماء متعاقبين بما يعطيه سمة الجهد الجمعي. وإذا ما طُبِّقَ هذا المبدأ التطوريُّ على علم النحو فسيَظهر أنه سار على هذه الطبيعية المنطقية في تطور العلوم، ابتداءً من مشكلة أظهرها تغيرُ التكوين الاجتماعي للمجتمع العربي، إلى بحثٍ عاجلٍ عن حلٍّ لتلك المشكلة أنتجَ لنا علمًا رصينًا يُعنى بضبط اللسان، وبيان قواعد اللغة.

مراحل تطور النحو العربي:

كثُرتْ الدراسات التي تتناول تاريخَ نشأة النحو وتطوره، إلا أنَّ الوقوفَ عليها لا يزالُ يُظهر لنا نتائج توضِّح تفاصيل تلك المراحل، ونقاطَ التحول فيها. ومن خلال الروايات الكثيرة التي تتحدث عن نشأة النحو وتاريخ تطوره يمكن تقسيم مراحل تطور النحو إلى المراحل الآتية:

المرحلة الأولى:

مرحلة الإرهاصات (ظهور الفكر اللغوي):

إنَّ القراءة في تاريخ النحو تُوقِفُ الباحث عن نشأته عند مرحلة أبي الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ)، وإلى ذلك تشير جُلُّ الروايات، لكن إذا ما سألنا عن المادة اللغوية التي اعتمد عليها أبو الأسود في وضعه للنحو، فإن الإجابة ستقودنا إلى مرحلة

---

(١) عبد الله العمر. ظاهرة العلم الحديث. (عالم المعرفة، ١٩٨٣). ١٩١.

أسبق، يمكن تسميتها بالإرهاصات، وهي مرحلةٌ مهمةٌ ومبكرةٌ هيأت لمرحلة النشأة المادة التي تستند إليها، والتي ساعدت أبا الأسود في أن يضع ما وضعه. فقد كانت العرب منذ الجاهلية تعلم أولادَها الشعرَ، وأخبارَ العرب وأيامهم(١)، وترسلُ أبناءها إلى البادية حتى يربوا على فصاحة اللسان وسلامة السليقة(٢)، وكان مما نُقِلَ عن عائشة -رضي الله عنها-: "رووا أولادكم الشعر تعذُب ألسنتهم"(٣). فلمَّا نزل القرآن الكريم وجد العرب أنفسهم أمام نصٍّ عربيٍّ مبين معجز، ووجد الصحابة أنفسهم بحاجة إلى أن يفهموا دقائقه، ويكشفوا عن معانيه، ويقفوا -كما أمروا- متألمين تراكيبَه وألفاظَه ليصلوا إلى أحكامه. وحينما خفي على بعضِهم شيءٌ من لفظه؛ بفضل اتساعِ قدرتِه اللغوية، وإعجازِ لفظِه ونظمِه، وتفوقِه عما عرفوا وعهدوا ظهرت الحاجة إلى العودة إلى الشعر العربي لفَهم دقائق النص القرآني، وتفسير ما لم يصل إليه علمُهم من لفظه. فتغير هدف الاستناد إلى الشعر؛ ولذلك وجَّه النبي -ﷺ- إلى العودة إلى أشعار العرب لمعرفة معاني القرآن الكريم، بقوله: "إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب"(٤).

ويَظهر أنَّ تغيرَ الهدف من حفظ أشعار العرب وروايتها لم يكن تغيرًا مفاجئا وعفويًّا، بل كان مطلبًا ضروريًّا دفعت إليه الحاجة، فها هو ذا ابن عباس يستفيد مما لديه من ذلك المخزون اللغوي والموروث الشفوي في تفسير القرآن، فيما نقله عنه

---

(١) محمد خير حلواني. المفصل في تاريخ النحو العربي. (مؤسسة الرسالة). ج١/ ٧١.

(٢) محمد بن محمد أبو شهبة. السيرة النبوية المطهرة في ضوء القرآن والسنة. ط٢. (دار القلم. ١٩٩٢). ١/ ١٩٢. ومحمود فهمي حجازي. علم اللغة العربية. (دار غريب).

(٣) ابن عبد ربه أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي. العقد الفريد. ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٤). ٦/ ١٤٢.

(٤) أخرجه الحاكم (رقم: ٣٨٤٥)، وهو حسن. تخريج العواصم والقواصم. محمد بن إبراهيم الوزير. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة 1412هـ). ٥/ ١٣٧.

نافع بن الأزرق من تفسيراته لغريب القرآن في كتابه الذي سماه (مسائل نافع ابن الأزرق لابن عباس)[١]، فكان يسأله وابن عباس يفسر له بما عرفه عن العرب، ومن ذلك تفسيره كلمة (عزين) في قوله الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ﴾[٢]، قال ابن عباس: "(العزون): الحلق من الرفاق"، فسأله نافع: "وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت قول عبيد بن الأبرص:

فجاؤوا يُهرَعون إلَيْه حَتَّى ... يكونوا حَوْلَ مِنْبَرِه عِزينا"[٣].

وعنه أيضًا أنه فسَّر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[٤] قال: "عن شِدَّةٍ في الأمرِ، والعربُ تقولُ: قامتِ الحربُ على ساقٍ: إذا اشْتَدَّتْ به، ومنه: قَدْ سَنَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ، وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ، وقال: إذا خَفِيَ عليكم شَيءٌ من القُرآنِ فابْتَغوه من الشِّعرِ؛ فإنَّه دِيوانُ العَرَبِ".[٥]

ولعلَّ أهمَ أسبابِ وقوفِ البحث على هذه المرحلة هو توضيح الصلة بينها وبين مرحلة النشأة؛ إذ تعدُّ هذه المرحلة أول خطوة في تغيُّرِ قصدِ الرواية، وإنْ اقتصرَ ذلك الهدف على تفسير الكلمات وتوضيح المعاني.

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس. تحقيق: محمد أحمد الدالي. ط١. (الجفَّان والجابي للطباعة والنشر. ١٤١٣/ ١٩٩٣).

(٢) سورة المعارج، آية ٣٧.

(٣) عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. (دار المعارف). ٣٠٩. وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٣٩٤/١٩٧٤). ٦٨/٢.

(٤) سورة القلم، آية ٤٢.

(٥) الإتقان في علوم القرآن. ٣/ ٢١.

لقد كانت مرحلةُ الإرهاصات مرحلةً ذات أثر مهم في تاريخ الدرس النحوي، فقد وجهت إلى النظر في الأشعار وأقوال العرب بهدف لغوي مما شكل قاعدة لغوية يمكن الاستناد إليها في التفكير النحوي لاحقًا، وظهرت فيها أولُ مدونة تجمع بين اللغة والتفسير عدها بعض الباحثين البذرة الأولى للعمل المعجمي [1].

المرحلة الثانية:

مرحلة النشأة (المشكلة والحل):

(النقط، وبداية الاستقراء من المخزون اللغوي)

تُظهر القراءة الواعية في تاريخ النحو أن مشكلة اللحن كانت على مراحل ومنحنيات، وأنها بدأت في وقت مبكر بعد أن اختلط العرب بغيرهم، وأنها لم تقتصر على اللغة الحوار اليومي، بل وقعت في قراءة القرآن الكريم؛ إذ روي أنَّ رجلا قرأ أمامَ النبي -ﷺ- فلحن، فوجه النبي -ﷺ- أصحابه بقوله: "أرْشِدوا أخاكُم؛ فقد ضل"[2]. ومن ذلك أيضًا ما رُوِيَ عن أبي بكر – رضي الله عنه– أنه قال: "لأنْ أقرأ فأُسقِطَ أحبّ إليّ من أن أقرأ فألحن[3]. ورغم ورود اللحن في القرآن إلا أنه بقي محدود الأثر والوجود، ولم يكن يُشكِّلُ ظاهرةً متفشية أو خطرًا يهدد العربية؛ فالحُفَّاظُ والقُرَّاءُ كُثر،

---

(١) حسين نصار. المعجم العربي نشأته وتطوره، ط٤. (دار مصر للطباعة، ١٤٠٨/ ١٩٨٨). ٢٧.

(٢) رواه أبو الدرداء، نقله الحاكم. المستدرك على الصحيحين: ورقمه ٣٦٤٣. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية١٤١١/ ١٩٩٠). ٢/ ٤٧٧.

وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: فؤاد علي منصور. ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٨/١٩٩٨). ٣٤١/٢.

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ٣٤١/٢.

وأكثر الصحابة كانوا من العرب الذين لم تفسد ألسنتهم، وبالتالي كانت كثرةُ الفصحاء أكبرَ من ذلك الزلل، لكن لما تقادم العهد وكَثُرَ اختلاط العرب بغيرهم كَثُرَتْ الروايات التي توضح في مجموعها تفشي الظاهرة وشيوعها، وكَثْرَةَ الخطأ والزلل على الألسنة. ومن تلك الروايات ما حصل في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حيث مرَّ بقوم يرمون ويسيئون الرمي، فقال لهم: "بئس ما رميتم، فقالوا: إنّا قوم متعلمين"، فساءه لحنهم، وقال: "والله لخطؤكم في كلامكم أشدُّ من خطئكم في رميكم[١]، سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: "رحم الله امرأ أصلح من لسانه"[٢]. ومن الروايات التي تدلُّ على وجود اللحن أيضًا أنَّ كاتبًا كتب رسالة من أبي موسى الأشعري إلى عمر – رضي الله عنه–: "من أبو موسى" فكتب عمر إلى عامله: "إذا أتاك كتابي هذا، فاجلده سوطاً واعزله عن عملك"[٣]. وهذه الرواية تدلُّ على تمكن اللحن وعدم استقامة النظام اللغوي في عقل الذي وقع فيه؛ وذلك أن اللغة المكتوبة تعطي صاحبها وقتًا أطولَ للتفكير، ومهلةً قبل الكتابة وبعدها، ولم يكتب ذلك الكاتب الخطأ إلا لميل نظامه اللغوي عن السليقة، وثبات اللحن في ذهنه قبل لسانه.

---

(١) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. معجم الأدباء. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق: إحسان عباس. ط١. (بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م). ١/ ١٦،١٧.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الجامع الصغير وزيادته. مع الكتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني. رقم الحديث ٦٨٤٨. وذكر الألباني أنه ضعيف. الألباني، محمد ناصر الدين. ضعيف الجامع الصغير وزيادته. إشراف: زهير الشاويش. (المكتب الإسلامي). ١٤٣٤. ص٤٦٥، رقم الحديث: ٣١٠٣.

(٣) علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. ضبطه وفسر غريبه: الشيخ بكري حياني. صححه ووضع فهارسه ومفتاحه: الشيخ صفوة السقا. ط٥. (مؤسسة الرسالة. ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م). ١٠/ ٣٠٩.

ثم إن ميلَ اللسان كان قد وصل إلى أبناء العرب الفصحاء، فها هي ذا ابنة أبي الأسود تلحن في تلك القصة المشهورة، حيث دخل عليها والدها، وقد اشتدَّ الحر بالبصرة، فقالت: "ما أشدُّ الحر! " [برفع أشدُّ] فرد قائلا: "شهرا ناجر"، فقالت: "يا أبتِ إنما أخبرتك ولم أسألك"(١). وقيل إنه دخل إلى منزله، فقالت له بعض بناته :ما أحسنُ السماء! قال: أيْ بنيةُ، نجومُها. فقالت :إني لم أرد أيَّ شيءٍ منها أحسن؟ وإنما تعجبت من حسنها؛ فقال :إذن فقولي: ما أحسنَ السماء! [بفتح أحسن والسماء]"(٢)، ووضع على إثرها كتابًا فيه بعض مبادئ النحو.

وقد ورد من الروايات أيضًا ما يفيد أن اللحن قد ظهر في قراءة القرآن الكريم، فأوقع هذه المرة في خلل كبير في المعنى، فروى أبو مليكة أن أعرابيًّا في زمن عمر بن الخطاب طلب أن يسمع شيئًا من القرآن، فأقرأه رجل قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ﴾(٣) من سورة التوبة، فجرَّ لفظ (رسوله) في الآية، فقال الأعرابي: "أو قد برئ الله من رسوله؟! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه"، وحينما طلبه عمر وسأله عن سبب قوله هذا رد الأعرابي: "يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرئني هذا سورة براءة فقال:

---

(١) أبو فرج الأصفهاني. الأغاني. ١١/ ١٠١. تحقيق: إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس. ط١. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥ هـ). وجلال الجين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. سبب وضع العربية. تحقيق: مروان العطية. ط١. (بيروت– دمشق: دار الهجرة، ١٤٠٩/)١٩٩٨. ٤٢.

(٢) أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي. إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١. (القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافة. ١٤٠٦/ ١٩٨٢). ٥١/١.

(٣) سورة براءة. آية ٣.

﴿أَنَّ اللَّـهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ﴾[١] [بالجر]، فقلت: أو قد برئ الله من رسوله، إن يكن الله قد برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي! قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ اللَّـهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [بالرفع]"؛ وعلى إثرها أمر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة[٢]، وأمرَ أبا الأسود (ت٦٩هـ) فوضع النحو، وفي رواية أخرى أن عليًّا -كرم الله وجهه- كان قد شرع في كتابة مدونة فيها بعض المبادئ النحوية التي اهتدى إليها، والتي وضعها إثرَ ما وصل إليه حال المتكلمين من فساد اللسان وتفشي اللحن، ثم طلب من أبي الأسود استكمالها[٣]، وقيل إن زياد بن أبيه هو الذي طلب من أبي الأسود ذلك، وأن أبا الأسود حينما سمع القارئ يخطئ في قراءة القرآن قال: "ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا"[٤]، ثم قال لزياد: " قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن"، فطلب كاتبًا لَقِنًا حتى يضبط القرآن كما يَقرأ، فجاؤوا له بكتَّاب فاختار كاتبًا من عبد القيس، وقال له: "خذ المصحف، وصِبْغًا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتيَّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئًا من هذه الحركات غنَّةً فانقط نقطتين"[٥].

---

(١) سورة براءة. آية ٣.

(٢) سبب وضع علم العربية. ٣٠. ومختصر تاريخ دمشق. ٢٢٧/١١.

(٣) إنباه الرواة في أنباه النحاة. ١/ ٣٩.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان. ٢/ ٥٣٧.

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات الأنباري. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق: إبراهيم السامرائي. ط٣. (الأردن: مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م). ٢٠.

ويمكن تحليل جهد أبي الأسود في المراحل الإجرائية الآتية: أولا: الملاحظة: المتمثلة في ملاحظة الخطأ اللغوي، ثم ملاحظة النطق اللغوي السليم، ثانيا: الوصف: المتمثل في التمثيل الدقيق (والذي قام به الكاتب اللقن) لعمل المتكلم سليم القراءة (وهو أبو الأسود) بنقط الإعراب، والذي أنتج لنا بداية الفكر النحوي الوصفي، الذي يعدُّ خطوة أولى للتفكير النحوي، تتلوها خطوة أكثر عمقًا وتوسعًا، فبعد أن ضَبَطَ أبو الأسود المصحف، واطمأن لحلِّ مشكلة اللحن في قراءة القرآن الكريم. بقي أمامه بابٌ آخرُ من العناية باللغة على لسان متكلميها، اقتضى ملاحظةَ العلاقاتِ التركيبيةِ والأثرَ الناتجَ عن تضامِ الكلماتِ على أواخرها؛ بهدف وضع مبادئ يسيرون عليها لإصلاح لسانهم، حتى يصلَ لوضعِ علمٍ يُضبط به اللسان.

المدونة الأولى:

تتكاتف رواياتٌ كثيرة في إثبات وجود مدونة نحوية، تخبر بأن التدوين كان مرافقًا لأولى مراحل التفكير النحوي، حتى وإن كان في صورة مبادئ وملاحظات. فأبو الأسود لم يكتفِ بضبط المصحف – كما سبق وأن تبين–، يقول عنه ابن سلام أنه: " أول من استنَّ العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها"[(١)]. لقد أصبحت العربية على يده علمًا له قياس، وفيه نظرٌ في أحوال التراكيب، وقد دوَّن ما توصَّل إليه في مدونةٍ تناسب تلك المرحلة، حتى وإن لم تصل إلينا تفاصيلها، فقد نُقل عن محمد بن إسحق أنَّه قد اطلع على أوراق كُتب فيها كلامٌ عن الفاعل والمفعول من أبي الأسود بخط يحيى بن يعمر[(٢)]. وقد نُقل عن عطاء ابن أبي الأسود قولُه: "أولُ

---

(١) محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي. طبقات فحول الشعراء. ١٢/١. تحقيق: محمود محمد شاكر. (جدة: دار المدني).

(٢) ابن النديم، الفهرست. (مصر: المطبعة الرحمانية، ١٣٤٨) ٦١. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة. ٢٨، ٢٩.

باب وضعه أبي من النحو بابُ التعجب"[١]، ولعلَّ لهذا الأمر صلةً بقصة لحن ابنته في ذلك الأسلوب[٢]. ونَسَبَتْ بعض الروايات بداية وضع المدونة لعلي بن أبي طالب بما نقله أبو الأسود عنه بأنه كتب رُقعة فيها بعض ما اهتدى إليه فكره من مبادئ هذا العلم، وقال لأبي الأسود: "انحُ هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك[٣]". ونقل الفخر الرازي الأبواب التي وضعها علي – كرم الله وجهه–في كتابه (المحرر في النحو)، فقال:" رسم علي –رضي الله عنه– لأبي الأسود باب (إنَّ) وباب الإضافة وباب الإمالة، ثم صنف أبو الأسود باب العطف وباب النعت، ثم صنف باب التعجب وباب الاستفهام"[٤]. وسواء أكانت تلك الروايات دقيقة وصحيحة أم لم تكن، فإن احتمالَ وجود بعض تلك الأبواب أو شيء من مبادئها في مدونة يعدُّ فاتحة للتفكير والتأليف النحوي، كما أن تضافرها يثبت مرافقة التدوين لبداية التفكير النحوي.

لقد كانت مرحلة النشأة أشبه بانطلاقة فكرية في النحو العربي، كان نتاجها اشتراطَ العلم بالعربية لإقراء القرآن الكريم، كما أنتجت لنا ضبط المصحف؛ حتى يتمكن كلُّ قارئ مهما كانت معرفته اللغوية من قراءته قراءة سليمة، وكان من نتاجها تغيرُ الهدف من الاستناد إلى الرواية، فظهرت العودة إلى الأشعار المحفوظة والمتَناقَلَة بهدف النظر في التراكيب لوضع مبادئ النحو. بالإضافة إلى تأمل التركيب القرآني. وظهرت إثر ذلك – كما تشير الروايات– مدونة نحوية مختصرة.

---

(١) وفيات الأعيان. ٢/ ٥٣٧.

(٢) ينظر صفحة ٨ من هذا البحث.

(٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء. ١٨،١٩.

(٤) السيوطي، دلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الاقتراح في أصول النحو. ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية

راجعه وقدم له: علاء الدين عطية. ط٢. (دمشق: دار البيروتي، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م). ١٥٨.

المرحلة الثالثة:

مرحلة الاستقراء والرواية المقصودة عن الأعراب الوافدين:

بدأ النحو يتشعب ويتفرع على يد تلاميذ أبي الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ)، ومنهم ولده عطاء، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ونصر بن عاصم (ت٨٩هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز (ت١١٧هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني (ت١٢٩هـ)، ثم جاء مِنْ بعدهم عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي (ت١١٧هـ)، فتوسع النحو أيما توسع، وبدأت المناظرات بين العلماء تظهر في الساحة العلمية.

واستمروا ينطلقون من الهدف نفسه، وهو محاربة اللحن، والسعي إلى استقامة اللسان، بالإضافة إلى توسع الدراسة النحوية على أيديهم لتشمل الكشف عن معاني التراكيب القرآنية، وبيان أوجه القراءات. وكما هو معلوم أنَّ القراءة لا تَتلَمَّسُ كلَّ وجه جائز في العربية، بل هي نقل موقوف على ما ورد عن النبي -ﷺ- في موضعه؛ ولهذا نجد أن كثيرًا من النحويين كانوا من أئمة القرَّاء يتأملون وجه القراءة ويخرِّجون تركيبها ويحللونها. فكان أبو الأسود على علم بالقراءات، وكذلك نصر بن عاصم (ت٨٩هـ)[١]، وعبد الرحمن بن هرمز (ت١١٧هـ)[٢]، وعبد الله بن أبي إسحق (ت١١٧هـ)[٣]، وعيسى بن عمر(ت١٤٩هـ)[٤]، وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) وهو من أحد القراء السبعة[٥]، وكان من أثر هذا التوسع في النظر في توجيه

---

(١) نزهة الألباء. ٢٤.

(٢) السيرافي، الحسن بن عبد الله المرزبان. أخبار النحويين البصريين. تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي. (الناشر: مصطفى البابي الحلبي. ١٣٧٣/ ١٩٦٦). ١٧.

(٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء. ٢٦.

(٤) المرجع السابق، ٢٨.

(٥) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. ط١. (دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١/ ٢٠٠٠). ١٣٩.

القراءات، ومعرفة اللغات أن احتاجوا لمشافهة الأعراب، والسماع عنهم، فاتَّصل النحاة بالأعراب الذين كانوا يفدون سوق المِربَد بالبصرة[١]، ذلك السوق الذي كان يقصده عامة الناس، وأشراف العرب يتفاخرون ويتشارون، ويلقون أشعارهم[٢]، كما وفد الأعراب إلى سوق الكناسة بالكوفة أيضًا[٣]، فأقبل النحويون والرواة يَرِدون إلى ذلك النبع المتدفق، وينقلون عنهم بحرص بالغ؛ حتى يخلقوا مرجعيةً لغويةً وقاعدةً من الاستعمالات الفصيحة التي يمكن الاستناد إليها في وضع الأحكام، وتحليل الآيات، وتوجيه القراءات، والفصل في الخلاف في المسائل. وقد كثرت الروايات التي تُظهر في مجملها ذلك الحرص، يقول أبو عبيدة أيضًا: "قَدِم علينا رجالٌ من بادية بني جعفر بن جعفر ابن كلاب، فكنا نأتيهم، فنكتبُ عنهم"[٤]. ويروي الأصمعي أنه قابل أبا عمرو بن العلاء، فسأله أبو عمرو: "من أين أقبلت يا أصمعي؟ قال: جئت من المِربَد، قال: هاتِ ما معك، فقرأتُ عليه ما كتبتُه في ألواحي"[٥]. كما يُظهر حرصَهم على التدوين والنقل ما حكاه الأصمعي مما نقله عن عيسى بن عمر أنه كان يسير مع عبد الله بن أبي إسحق والحسن فقال الحَسَن :"جَاذِبُوا هذه النُّفُوس فإنَّها طُلَعَة، ولا تَدَعُوها فتَنْزَحُ بكم إلى شَرِّ غايَة" فأخرج عبد الله بن أبي إسحق ألواحه وكتب ما سمعه، ثم قال" :اسْتَفَدْنا منك يا أبا سَعيدٍ: (طُلَعَة)"[٦]. وقيل إن أبا عمرو بن العلاء

---

(١) نزهة الألباء. ٣٣.

(٢) سعيد الأفغاني. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام. ط٢. (دمشق: دار الفكر، ١٣٧٩/ ١٩٦٠). ٤٠٨.

(٣) نزهة الألباء. ٢٠.

(٤) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي. جمهرة أشعار العرب. تحقيق وشرح: علي محمد البجادي. (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع). ٣١.

(٥) كتاب أسواق العرب في الجاهلية والإسلام. ٤٢٢.

(٦) الفهرست. ١/ ١١٠.

(ت١٥٤هـ) كان قد كتب مما أخذ عن العرب حتى وصلت كتبه إلى سقف بيته[١]. كلُّ هذه الروايات وغيرها تُظهر حرصهم على النقل عن العرب، وتدوين ما سمعوه عنهم؛ مما شكَّل مادة لغوية اعتمدوا عليها في استقراء الأحكام، ما كانت لتجمع على يد عالم واحد، أو بفعل جهد فردي.

وقد كان من نتاج هذه المرحلة أن تبلورت ضوابط الرواية عند النحاة، بفضل تقصيهم ودقتهم، وكان من تلك الضوابط: الأخذ عن الثقات، والتأكد من سلامة لغة الأعرابي، واختبارها بين الفينة والأخرى، فكان مما رويَ عن عبد الله بن أبي إسحق أنه سأل أعرابيًّا يقال له أبو خيرة: "كيف تقول: استأصل الله عِرْقاتهم؟" ففتح أبو خيرة التاء، فقال له ابن أبي إسحق: "هيهات أبا خيرة لان جلدك"[٢].

كما بدأت بوادر المعيار الزماني بالظهور فيها. فقيل أن أبا عمرو بن العلاء هو أول من حدَّد المعيار الزماني[٣]، ودليل ذلك ما نقله عنه الأصمعي بقوله: "جلست إلى أبي عمرو عشر حجج، فلم أسمعه يحتجّ ببيت إسلامي"[٤].

لقد ساعدت الروايات التي جمعوها في إحداث نقلة في تاريخ الدرس النحوي؛ مما ساعد في استقراء الأحكام النحوية، وتوسيع المسائل وتفريعها، والفصل في النقاشات العلمية.

---

(١) إنباه الرواة. ٤/ ١٣٣.

(٢) أبو الفتح عثمان ابن جني. الخصائص. (المكتبة العلمية) .٢/ ١٣.

(٣) محمد إبراهيم عبادة. عصور الاحتجاج في النحو العربي. (القاهرة: دار المعارف). ١٩٧.

(٤) إنباه الرواة. ٤/ ١٣٣.

المرحلة الرابعة:

مرحلة الاستقراء والرواية المقصودة (الرحلة إلى البادية):

(وصولا للنضج العلمي الشفهي):

بدأت هذه المرحلة عندما ازداد توسع النحو، وتفرعت مسائله، حتى بلغ من الدقة في النظر في التراكيب مبلغًا عميقًا، ولما أراد النحاة أن يستزيدوا من مصدر اللغة الفصيحة للفصل في دقائق المسائل كانوا قد لاحظوا ميلَ لسان الأعراب الذين طال مكوثهم في الحاضرة، فوجد النحاة أنفسهم مضطرين إلى الارتحال إلى البادية؛ للأخذ عن الأعراب الذين لم تفسد ألسنتهم بحكم انعزال قلبيتهم جغرافيًّا، وبعدها مكانيًّا عن الاختلاط بغيرها من الأمم. فارتحل النحاة إلى البادية بقصد طلب الرواية لغرض علمي، وهو الاستناد إليها في استقراء كلام العرب لمعرفة نهجهم في كلامهم، وأخذ اللغة عن الأعراب الفصحاء، بعد أن جمعوا من الرواة والأعراب الذين وفدوا إلى الحاضرة كلَّ ما يمكن الاعتماد عليه، ويُطمَأن إلى فصاحته وسلامته. وقيل إن أقدم من خرج إلى البادية لطلب الرواية هم: يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ)، والخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، وخلف الأحمر(ت١٨٠هـ)، وأبو زيد الأنصاري(ت٢١٥هـ)[١].

ويمكن القول بأن الرواية في هذه المرحلة قد خطت خطوة جديدة، وبأن أصول النحو قد اتجهت فيها نحو التحديد وأصبحت دقيقة منضبطة، حيث وضع المعيار المكاني المبني على بقاء السلامة اللغوية، ووجود الحصانة من الاختلاط، والذي ظهر في نصِّ الخليل على أسماء تلك القبائل حينما سأله الكسائي: "من أين علمُك؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي، وأنفذ خمس عشرة قنينة حبر

(١) الرافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب. (دار الكتب). ١/ ٢١٥.

في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ"[١]. كما استمرَّ المعيار الزماني في التحديد والانضباط؛ وذلك بانتهاء أخذهم عن أعراب الحاضرة.

وبدأ على إثر توسعِ الرواية تفريعُ المسائل وتوسيعُ القياس، فقطع النحو في هذه المرحلة شوطًا كبيرًا في النمو المعرفي والتطور، حتى وصل إلى مرحلة النضج الشفهي الذي كانت له دلائل متعددة، والذي مهد لظهور كتابٍ شامل يحوي كلَّ تلك المسائل الدقيقة. ويمكن إجمال دلائل نضج النحو قبل سيبويه فيما يأتي:

ب. دلائل نضج النحو قبل سيبويه:

١. نضج أصول علم النحو قبل سيبويه:

أ. السماع: السماع أول الأصول النحوية التي اعْتُمِدَ عليها، وأول مصادره القرآن الكريم. ولا شكَّ أنَّ النحويين كانوا على معرفة واسعة بالقرآن وقراءاته، بل إن كثيرًا منهم كانوا من القراء- كما سبقت الإشارة-. فدراستهم النحوية انطلقت لخدمته ودرات في فلك تأمل تراكيبه وتوجيه قراءاته. أما المصدر الثاني المُستَنَدُ إليه في واقع استقرائهم، فهو أشعار العرب وأقوالهم. وقد سبقت الإشارة إلى اعتماد النحاة على الرواية والأخذ من الأعراب الوافدين ووجود ضوابط للرواية متناسبة مع تلك المرحلة، ثم انتقالهم إلى الأخذ عن القبائل والرحلة إلى البادية، فأخذوا عن الأعراب الذين لم تفسد ألسنتهم -كما سبقت الإشارة-، وهم قيس، وتميم، وأسد، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين [٢]، فتحدد على أيديهم المعيار المكاني الذي بُنيَ على سلامة اللغة، وبُعدِ القبيلة عن الاختلاط بغيرها من الأمم، وقد اقتضى هذا الضابطُ البعدَ الجغرافي،

---

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء. ٥٩.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. الاقتراح في أصول النحو. تحقيق وشرح: د. محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح). ط١. دار القلم- دمشق. ١٤٠٩/ ١٩٨٩. ٩١.

والانعزالَ الاجتماعي؛ بما يكفلُ الحصانة والسلامة اللغوية. كما كان سبب اختيار تلك القبائل –فضلا عما سبق– هو كون لغتها الأقرب إلى لغة قريش، وهي الفصحى التي نزل بها القرآن؛ وذلك لأن لغةَ قريش كانت قد تهيأت قبل نزول القرآن بها لذلك النضج، حتى وصلت أعلى مراتب الفصاحة، كما أنها كانت قد نشرت لغتها لتكون الأفصح عند العرب، ولما نظر النحاةُ في لغات العرب وتفحصوها أخذوا منها ما كان قريبًا من لغة قريش وعدوه فصيحًا، وتركوا ما سواها وحكموا بعدم فصاحته[١]. وقد وُجِدَ بالإضافة إلى المعايير السابقة معيارُ الكثرة، فكانت أحكامهم مبنيةً على الأكثر الأعمِّ من كلام العرب، في حين عدُّوا ما سواه وشذَّ عنه لغةً[٢]. وفي المقابل لم يأخذ النحويون من بقية القبائل التي خالطت الأقوام الأخرى[٣]ولا من حاضرة الحجاز رغم فصاحتها؛ وذلك لأن النحويين والرواة حينما أرادوا أن يأخذوا اللغة، ويدونوا عن متكلميها كان لسان قريش قد لان ودخله اللحن بسبب اختلاط أهلها بغيرهم من الأمم بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجا[٤].

لقد تميز نقل النحويين بالتحري الشديد؛ مما بنى منهجًا صارمًا ودقيقًا في الأخذ والتلقي المباشر، أو عن الرواة الثقات، مما أدى إلى الوصول إلى غاية الدقة في صفات الفرد والجماعة المتكلِّمة، وبالتالي توفرت المادة اللغوية وبنيت عليها الأحكام المستقرأة التي كانت أرضًا صلبة وقف عليها سيبويه، وانطلق منها.

ت. **رسوخ القياس وتفرعه**: يعدُّ القياس من أهم الأصول النحوية التي تعطي اللغة سمةَ الاتساع، وهو أداةٌ عقليةٌ يوميةٌ يُنتِجُ العقل عن طريقها آلافًا من الجمل

---

(١) المفصل في تاريخ النحو. ٢١٩.

(٢) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. ٢٧٧.

(٣) المفصل في تاريخ النحو. ٢١٩.

(٤) الاقتراح في أصول النحو. ٩٢.

وفق النظام اللغوي المختزن في الذهن. وقد عرف النحاة المتقدمون دوره المهم في توسيع اللغة؛ لذا أَوْلَوْه اهتمامًا بالغًا من بداية التفكير النحوي، إذ بدأ القياس في فكر أبي الأسود (ت٦٩هـ) مع بداية النظر في التراكيب، ورغم أنه لا يمكننا أن نقف على تفاصيله وكيفيته إلا أنَّ ما نقله ابن سلام بقوله: إنَّ أبا الأسود كان: " أول من استنَّ العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها"[١] يوضح وجود النظر القياسي منذ فجر الدراسة النحوية. وسار بعده تلامذته يوسعون القياس شيئًا فشيئًا، فنصر بن عاصم الليثي (ت٨٩هـ) أخذ النحو عن أبي الأسود، وفتق القياس ووسعه[٢]، حتى جاء عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي (ت١١٧هـ) فنضج القياس على يده وتفرع، وأصبح أداة نحوية معتبرة في مقارنة التراكيب، والحكم على المستجد منها؛ إذ كان شديد التجريد للقياس والعمل به، كما أنه كان يمزج القياس بالعلل، ويفسر الظواهر تفسيرًا ذهنيًّا، حتى قيل إنه مَنْ أعطى النحو معناه الاصطلاحيَّ الذي هو عليه حتى اليوم[٣]، وعنه يقول ابن سلام: "كان أول من بَعَجَ النحو، ومدَّ القياس، وشرح العلل"[٤]، وجاء بعده تلميذه عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ) واستفاد من أستاذه عبد الله بن أبي إسحق في التمسك بالقياس، وتوسيع النحو[٥]، وتلاه

(١) طبقات فحول الشعراء. ١٢/١.

(٢) نزهة الألباء ٢٣.

(٣) الحلواني، محمد خير. المفصل في تاريخ النحو. ١٩٤.

(٤) الزبيدي، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢. (دار المعارف).٣٢.

(٥) آل ياسين، محمد حسين. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث. ط١. (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨).

الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) الذي بلغ بالقياس الغاية في التصحيح[١] ليصبح القياس عنده منهجًا علميًّا منضبطًا محتكمًا إلى السماع مؤيَّدًا بالعلة الجامعة.

٢. وجود نظرية العامل قبل سيبويه

لقد كان العامل حجر أساس في النظر إلى الظواهر التركيبية، وتحليلها، والربط بين عناصرها، وتقسيم الأبواب. وقد تشكلت تلك النظرية على يد الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، وهو أول من استخدم مصطلح العامل[٢]. ونقل عنه تلميذه سيبويه كثيرًا من المسائل المتعلقة بها بدايةً من اعتماد التبويب على أساسها، وتسمية الأبواب بأسماء تتمحور حولها، مثل قوله: "هذا باب ما يعمل عمل الفعل، ولم يجرِ مجرى الفعل ولم يتمكن تمكنه"[٣]، وانتقالا إلى ما ذكره من آراء في تحديد العامل، كما في قوله: " وزعم الخليل أنك إذا قلت:"(إن تأتيني فآتك) انجزمتْ بـ(إن تأتِني) كما تنجزمُ إذا كانت جوابًا للأمر حين قلت: "ائتني آتك"[٤]. وقد تجاوز نظره ظاهر التراكيب ليقف على العوامل المضمرة فيها، كما في تحديد العامل بعد (إذن)، يقول سيبويه: "وذكر لي بعضهم أن الخليل قال: "(أن) مضمرة بعد (إذن)"[٥]، ومثل قوله: "هذا باب ما ينصب على إضمار الفعل"[٦]. ويظهر الاعتماد على نظرية العامل أيضًا في تصنيف الظواهر المتشابهة في العمل، فقد سمى (إنَّ وأخواتها) على أساس النظر

---

(١) يوسف، قصي، وخلخال، سلام. نظرية العامل في النحو العربي عند الدكتور كريم حسن ناصح الخالدي. (مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث. مج٣/ ع٣. ٣- ٢٠٢٣). ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق. ٢٠٩.

(٣) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط٣. (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤٠٨/ ١٩٨٨).١/ ٧٢.

(٤) المرجع السابق. ٦٣/٣.

(٥) المرجع السابق. ١٦/٣.

(٦) المرجع السابق. ١/ ٢٩٠.

في عملها ومشابهتها للفعل في العمل بقوله: " هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده... وهي أنّ، ولكنّ، وليت، ولعلَّ، وكأنَّ"[١].

وقد استفاد سيبويه من شيخه، ونقل عنه كثيرًا من القوانين الفرعية الدقيقة لتلك النظرية التي كانت بوصلة موجهة للنظر في الظواهر التركيبية، فكان من الأحكام التي ذكرها في كتابه تقدير العامل، فذكر أن الجار لا يضمر[٢]، وأنه لابد من تقليل الألفاظ المضمرة، ووضح ذلك بقوله: "فكلما كَثُر الإضمار كان أضعف"[٣]، مع توضيحه أن الأفضل في التقدير هو الأفضل في الذكر، وفي هذا المعنى يقول: "وأحسن ما يُضمر منه أحسنه في الإظهار"[٤]. كما كان المعنى عند الخليل أحد محددات العمل، وذلك ظاهر فيما نقله عنه سيبويه: "فالفعل إذا كان غايةً نُصِب، والاسم إذا كان غايةً جُرَّ"[٥].

لقد وضع الخليل أصولَ نظريةِ العامل، وسار بناءً عليها في تحليل التراكيب حتى بنى نظريةً تحليليةً متكاملةً واستند إليها في ربطه بين عناصر التراكيب، وتحديد العلاقات، وبيان الأثر الإعرابي، وتحديد المؤثِّر. وقد كان وجودها واستقرارها وتفرعها في النظر في تحليل التراكيب والمسائل وتصنيف الظواهر والأبواب قبل سيبويه دليلا على النظرة العميقة الناضجة والمحكمة، وتابع فيها سيبويه خطى شيخه الخليل، فانطلق من عمق تفكيره ناظرًا إلى التراكيب ومحللا لها على أسس تلك النظرية.

---

(١) الكتاب. ٢/ ١٣١.

(٢) المرجع السابق. ١/ ٢٥٤.

(٣) المرجع السابق.١ / ٢٥٩.

(٤) المرجع السابق. ١/ ٢٦٩.

(٥) المرجع السابق. ٣/ ١٧.

٣. إحكام العلل وتفرعها

تعدُّ العلَّة من أهمِّ الأدوات التي توضح الأحكام وتشرح الظواهر، وتحاول الكشف عن المبررات العقلية واللغوية والصوتية، وقد بدأت في صورة يسيرة حتى وسع بابها عبد الله بن أبي إسحق حتى قيل إنَّه أول من علل النحو[١]، فكان يربط القياس بالعلة حتى يبين وجهه ويفسره[٢]، واستمرت محاولات التعليل، إلى أن جاء الخليل، فكان التوسع الأكبر، حيث بلغ التعليل غاية الإحكام والتأمل في الغايات، واستخراج الأسباب اللغوية والتركيبية والصوتية. وقد نقل أبو القاسم الزجاجي في (إيضاح علل النحو) إجابة الخليل التي وضح فيها مصدر تعليلاته، قال الزجاجي: "وذكر بعض شيوخنا أنَّ الخليل بن أحمد رحمه الله سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتَها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إنَّ العربَ نطقت على سجيتها وطباعها، وعرَفتْ مواقعَ كلامها، وقام في عقولِها عِلَلُه، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتللتُ أنا بما عندي أنَّهُ عِلةٌ لما عللته منه، فإن أكن أصبتُ العلةَ فهو الذي التمستُ، وإن تكن هناك علةٌ غيرُ ما ذكرتُ فالذي ذكرتُه محتمل أن يكون علة، ومَثَلِي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارًا محكمةَ البناءِ عجيبةَ النظمِ والأقسام، وقد صحَّت عنده حكمةُ بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقفَ هذا الرجلُ في الدار على شيء منها قال: إنما فُعِلَ هذا هكذا لعلةِ كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، لِعِلَّةٍ سنحت له وخطرت بباله محتملة أن تكون علة لتلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنحَتْ لغيري علةٌ لما علَّلْتُه من النحو هي أليقُ مما ذكرتُه بالمعلول

---

(١) طبقات النحويين واللغويين. ٣١.

(٢) نزهة الألباء. ٢٣.

فليأتِ بها"[١]. وتظهر إجابة الخليل نظرة الحكيم المتأمل المتدبر الذي نظر في عمق الظواهر، وتأمل في جوهر النظام اللغوي، وتفكر في القدرة اللسانية على النطق وخرج من مجموع ذلك النظر بتلك العلل والتفسيرات.

ونقل سيبويه كثيرًا من علل الخليل، وصرح بكونها علله وتفسيراته، منها تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا﴾[٢] يقول سيبويه: "زعم الخليل أنه بمنزلة (أي)؛ لأنك إذا قلت: "انطلق بنو فلان أن امشوا"، فأنت لا تريد أن تخبر أنهم انطلقوا بالمشي، ومثل ذلك: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ﴾[٣]، وهذا تفسير الخليل. ومثل هذا في القرآن كثير"[٤].

إنَّ نضج التعليل على ذلك النحو الدقيق ليدلُّ على عمق التفكير النحوي الذي كان قبل سيبويه، ليتجاوز النظر في استنباط الأحكام، ومعرفة الظواهر إلى محاولة الكشف عن حكمة النظام التركيبي، والعلل التركيبية والصوتية المفسرة للتراكيب وانتظامها.

٤. استعمال أدوات التحليل النحوي:

لقد اقتضى النظر في التراكيب، وفَهم العلاقات بين الكلمات أن يستخدم النحويون أدوات تحليلية للنظر في النصوص. تتمثل في الحذف والتقدير والتأويل. وقد ظهر استخدامهم لها قبل سيبويه بشكل دقيق، وذلك واضح في قول الفرزدق لعبد الله بن أبي إسحق: "علينا أن نقول، وعليكم أن تتأوَّلوا"[٥]، وكذلك في قوله: " أمَا

---

(١) الزجاجي، أبو القاسم. الإيضاح في علل النحو. تحقيق: مازن المبارك. ط٥. (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٦/ ١٩٨٦). ٦٦.

(٢) سورة ص، آية٦.

(٣) سورة المائدة، آية ١١٧.

(٤) الكتاب. ٣/ ١٦٢.

(٥) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.٥/ ١٤٥.

وجد هذا ... لبيتي مخرجًا في العربية"[١] فقوله هذا يُظهر أن تأويل النصوص كان معروفًا عن النحويين، وأنهم قد امتلكوا تلك الأدوات التحليلية واستعملوها في تفسير النصوص وتخريج الإعراب. ومن أمثلة استعمالهم للأدوات التحليلية ما نقله سيبويه من تخريج الخليل لنصب الفعل (يرسل) في قول الله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [٢]" بأنه على تقدير: "إلا أن يوحيَ أو يرسلَ" [٣]. فضلا عن استعمالهم لها في تخريج الأوجه المحتملة والتي يقبلها المعنى في الأشعار. انظر إلى توجيه الخليل لكلٍّ من الرفع والنصب في قول الشاعر، وذلك فيما نقله عنه سيبويه:

"سألت الخليل عن قول الشاعر لبعض الحجازيين:

فَمَا هُوَ إلا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبْهَتُ حَتى مَا أَكَادُ أُجِيبُ[٤]

فقال: أنت في (أبهتُ) بالخيار، إن شئت حملتها على (أنْ)، وإن شئت لم تحملها عليه فرفعت"[٥]. لقد حلَّل الخليل النّصّ بكلِّ وجهٍ محتمل فمرةً قدر (أنْ) فنصب، ومرةً لم يقدرها فحكم بالرفع، وذلك لقبول النَّصِّ المعنيين.

لقد وصل تحليل النَّصِّ باستعمال الأدوات التحليلية من حذف وتقدير إلى مرحلة عميقة في النظر إلى النصوص وتخريج أوجه الإعراب وتقدير ما يحتاجه ذلك التوجيه من لفظ، وتفسير ما يؤول إليه المعنى مع كلِّ توجيه، وتوضيح علاقة الظاهر

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. ١/ ٢٣٩.

(٢) سورة الشورى، آية ٥١.

(٣) الكتاب. ٣/ ٤٩.

(٤) المرجع السابق. ٣/ ٥٤. طبقات فحول الشعراء. ٢/ ٦٥٦. عبد القادر البغدادي، شرح أبيات مغني اللبيب. تحقيق: عبد العزيز رباح أحمد يوسف. ط٢. (مركز النخب العلمية- أوقاف عبد الله الضحيان الخيرية، ١٣٩٣/ ١٤١٤). ١/ ٣٤٣.

(٥) الكتاب. ٣/ ٥٤.

بالمضمر المرتبط به. ورغم أنهم لم يسموا تأويلهم بالتقدير، ولم يضعوا لأدواتهم التحليلية تعريفات، إلا أنَّهم كانوا يستخدمونها في واقع نظرهم في التراكيب وتحليلها.

٥. تفريع المسائل ونضجها:

لقد كان تفريع المسائل أحدَ دلائل نضج النحو العربي قبل سيبويه؛ وذلك نتاج طبيعيٌّ للنشاط العلمي المتواصل والنظر الدقيق في المسائل في الحلقات ومجالس العلم، واختيار القراءات وتوجيهها. وإن الواقف على رواية لحن سيبويه في حلقة الحديث ليلحظ أن حمادًا خطأه في قوله: "ليس أبو الدرداء"، والصواب في رواية الحديث: ""ليس من أصحابي أحدٌ إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء"، فقال حماد: "لحنت يا سيبويه إنما هذا استثناء"[(١)]، وعلى إثر هذا اللحن انطلق سيبويه لطلب علم النحو، ولازم الخليل وأخذ عنه علمه. فيبدو من الرواية السابقة أن حمادًا لم يكتفِ بتعليمه الصواب، بل حلل التركيب، وبيَّن له موقع الكلمة منه. وظهر تفريع المسائل كذلك في مناقشة عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) في مسألة: (ليس الطيب إلا المسك)، حيث سأل عيسى (ت١٤٩هـ) أبا عمرو قائلا: "يا أبا عمرو، ما شيءٌ بلغني أنك تجيزه؟ قال: وما هو؟ قال: بلغني أنك تجيز: (ليس الطيب إلا المسك) بالرفع، فقال له أبو عمرو: نمت يا أبا عمر وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع"[(٢)]. وسيتم الوقوف على المزيد من النماذج والأدلة على تفريع المسائل في الحديث عن تطور حركة التأليف قبل سيبويه بما يثبت تعمقهم وتفريعهم لها قبل سيبويه.

---

(١) الكتاب. ٣/ ١٦٢.

(٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي. مجالس العلماء. تحقيق: عبد السلام هارون. ط٣. (القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣/ ١٩٨٣).

٦. وجود عدد من المؤلفات قبله:

كان النحو ينتقل من عالم لآخر عن طريق التلقين والمشافهة، وعن طريق حلقات المجالس، ودروس العلم، ومجالسة العلماء التي لم تخلُ من الأسئلة والإجابات، وإن كان الطابع الشفهي قد غلب على تناقل العلم قبل سيبويه، إلا أن النظر في الروايات والقراءة في تاريخ النحو تبين وجود محاولات أولية للتدوين في صورة مبادئ عامة، أو رسائل جزئية، أو إملاء مرتبط بدروس الحلقة.

ويمكن استعراض تاريخ التأليف النحوي ابتداءً بما سجله علي بن أبي طالب وأبو الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) من ملاحظات يسيرة تحدثت عنها روايات مختلفة -كما سبق وأن تبين- وفيها بعض مبادئ النحو الملائمة لتلك المرحلة والتي نقل إنها كانت في باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف النصب، والتعجب، والعطف والنعت والاستفهام [١] -إن صحت الروايات-، كما نقل بعض العلماء أن لنصر بن عاصم (ت٨٩هـ) - أحد تلامذة أبي الأسود- كتابًا في العربية لم يُذكراسمه [٢]، وقيل إن طلاب أبي الأسود كانوا قد وضعوا باب الرفع، والجر،والجزم [٣]. ونقلت الروايات أن عبد الله بن أبي إسحق (ت١١٧هـ) كان قد كتب كتابًا في الهمز مما أملاه في حلقات الدرس على طلابه [٤].

وما أن جاء عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ) حتى انتقل تدوين النحو إلى مرحلة جديدة، فقد عُرِفَ عنه شغفه الشديد بالتدوين، حتى قيل إنه ألف نيفًا وسبعين مصنَّفًا

---

(١) الاقتراح في أصول النحو. ١٥٨.

(٢) جلال الدين بن أبي بكر السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. محمد أبو الفضل إبراهيم. (لبنان- صيدا: المكتبة العصرية). ٢/ ٣١٣.

(٣) عبد العال سالم مكرم. الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي. (مؤسسة الرسالة). ٧٥.

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ٢/ ٣٤٢.

في النحو، منها: (الجامع) الذي يُعرب اسمه عن هدفه، وهو جمع المسائل النحوية في كتاب واحد، وتبعه كتاب (الإكمال) في الدلالة على تتبع مؤلفه للمسائل وقصده لاستيفائها [١]. وقد اطلع سيبويه على كتاب عيسى بن عمر حتى قال بعضهم إن كتاب سيبويه هو الجامع زاده وحشاه بما سأل فيه مشايخه عما استشكل عليه منه[٢]. ويقال إنه قد أحضر كتاب (الجامع) للخليل ليقرأه عليه، فعرفه، وأنشد أبياتًا:

بطل النحو جميعا كلّه غير ما أحدث عيسى بن عمرْ

ذاك إكمال وهذا جامع فيهما للناس شمس وقمر"[٣].

لقد كان شغف عيسى بن عمر نابعًا من عمق علمه، وبراعة فكره، وتبحره في علم النحو، وتفريعه له الذي يُثبته نقل سيبويه عنه آراءه في جُلِّ الأبواب النحوية، فقد نقل عنه آراءه في المفعول المطلق، والمفعول معه، والنداء، والحال، والاستثناء، والمنصوب على المدح أو الذم، وكسرة همزة (إن)، والنعت، والبدل، ونصب المضارع، والممنوع من الصرف، وغيرها من أبواب النحو [٤]. لقد وصل عيسى بن عمر بالتأليف النحوي إلى مرحلة ناضجة استطاع أن ينقل التأليف فيها من المبادئ الأساسية، والرسائل الفرعية المخصصة لموضوع معين إلى التأليف المبوب المهذب وفق منهجية منظمة تعتمد على الأكثر من لغات العرب، وتعدُّ ما شذَّ عنها لغةً [٥].

وما أن جاء الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) ذلك العالم الفذ حتى استقرَّ النحو على يده، وبلغ في إرساء أصوله، وتوسيع قياسه، واستخراج مسائله، واستنباط كثير من

(١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. ٢٢٨.

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة. ٣٧٥/٢.

(٣) أخبار النحويين البصريين. ٢٧.

(٤) المفصل في تاريخ النحو العربي قبل سيبويه. ١/ ١٦٢.

(٥) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. ٢٢٧.

أحكامه مبلغًا عميقًا، كما علَّل ظواهره تعليلا حكيمًا [١]، وابتكر نظرية العامل وأنشأ مصطلحها [٢]، قال عنه ابن جني: "سيد قومه، وكاشف قناع القياس في علمه"[٣]. وقد كان من صور ذلك الاستقرار ما نُقل عنه من تأليف عدد من الكتب، منها: (النقط والشكل)، و(الشواهد)، و(الجمل في النحو)، و(معاني الحروف)، كما ألف كتبًا أخرى، هي: (الإيقاع)، و(العروض)، و(النغم)، و(العين)[خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب [٤]. وقد يستغرب عدم وضع الخليل لكتاب شامل في النحو، رغم أنه قد سبق له التأليف، ورغم أن (الكتاب) ليس إلا علم الخليل، لكن الزبيدي وضح سبب ذلك في معرض وصفه للخليل وعلمه بقوله: "لم يُرَ نظيرُه ولا عُرِف في الدنيا عديلُه وهو الذي بَسط النحوَ، ومَدَّ أطنابَه، وسبَّب عِلَلَه، وفَتَقَ معانيه، وأوضحَ الحِجاج فيه حتى بلغ أَقْصى حدودِه، وانتهى إلى أبعدِ غاياته، ثم لم يرضَ أن يؤلِّفَ فيه حرفًا، أو يَرْسُمَ منه رَسْماً؛ نَزَاهَةً بنفسه وتَرَفُّعاً بقَدْرِه؛ إذ كان قد تقدّم إلى القول عليه والتأليف فيه، فَكَرِهَ أن يكونَ لمن تقدمه تاليًا، وعلى نظَرِ مَن سَبَقَهُ مُحْتَذِياً، واكتفى في ذلك بما أَوْحَى إلى سيبويه من عِلْمِه، ولقَّنه من دقائقِ نَظره، ونتائجِ فِكره، ولطائفِ حكمته فحَمل سيبويه ذلك عنه، وتقلده وألفَّ فيه الكتاب الذي أعجَزَ من تقدَّم قبلَه كما امتنعَ على مَنْ تأخَّرَ بعده"[٥]. ويؤكد ذلك ما نصّ عليه سيبويه بقوله: على قصده تدوين علم الخليل بن أحمد بقوله لنصر بن علي أحد تلامذة الخليل قبل أن يؤلف الكتاب: "تعالَ حتى نتعاون على إحياء علم الخليل"[٦]. لقد كان العلماء على دراية بأن الكتاب

---

(١) معجم الأدباء. ١١/ ٧٧.

(٢) نظرية العامل في النحو العربي عند الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي. ٢١٠.

(٣) الخصائص. ١/ ٣٦١.

(٤) معجم الأدباء. ٣/ ١٢٧١.

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ١/ ٦٤.

(٦) الكتاب. ١/ ٨.

هو علم الخليل نقله عنه تلميذه سيبويه، ورواياتهم تصرح بذلك، يقول أبو الطيب اللغوي في حديثه عنه، بقوله: " وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سماه الناس (قرآن النحو)، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل"[١]. كما يقول السيوطي أن سيبويه حامل علم الخليل [٢]. وإلى نحو ذلك يشير السيرافي، يقول واصفًا عمل سيبويه في كتابه: "وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكلما قال سيبويه: (وسألته)، أو (قال) من غير أن يذكر قائله، فهو الخليل"[٣]. وقد تتبع بعض الباحثين المواضع التي نقل فيها سيبويه عن الخليل فوجدوها قد بلغت (٥٢٢) موضعًا في كتابه [٤]. توزعت في كثير من الأبواب، منها: المفعول المطلق، والمفعول فيه، والنداء، والندبة، والترخيم، والحال، والتمييز، والتوكيد، والقسم، والممنوع من الصرف، والاستثناء، وغيرها من الأبواب [٥]. واستمرت محاولات التأليف بعد الخليل، فذُكِرَ أن يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) ألف عددًا من الكتب، هي: (معاني القرآن)، و(اللغات)، (النوادر)، و(الأمثال) [٦].

ومن جهة أخرى فإن عدم وجود كتب نحوية لبعض أعلام النحو لا يعني عدم اتساع علمهم، فالكسائي – على قوة علمه – لم يكتب في النحو إلا مختصرًا، وبعض الرسائل في موضوعات مخصوصة، كالعدد، والحدود في النحو، وما تلحن فيه

---

(١) أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي. مراتب النحويين. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. (المكتبة العصريّة. ١٤٣٠).٦٥.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ١/ ٦٧.

(٣) أخبار النحويين البصريين. ٣٢.

(٤) علي النجدي ناصف. سيبويه إمام النحاة. الطبعة العثمانية. (القاهرة: عالم الكتب) ١٠٢.

(٥) هاني عبد الكريم فخري، ومختار علوي القبشري. الكتاب للخليل بتأليف سيبويه. (مجلة جامعة عدن للعلوم الإنسانية والاجتماعية. مارس ٢٠٢٣. ع)٤. ١١٢.

(٦) بغية الوعاة. ٤٢٦. الفهرست ٣٤.

العامة[١]. ولا يكاد أحد ينكر قوة علمه، أو يغفل عن آرائه النحوية، ومناظراته التي شاع وذاع ذكرها في كتب النحو، وكتب الخلاف.

لقد أظهر التتبع التاريخي ظهور حركة التأليف، ووجود نتاج مدوَّن ظلَّ رغم كونه مفقودًا دليلا شاهدًا، وعلامة دالة على وجود محاولات التأليف منذ فجر الدراسة النحوية، ومثَّل تمهيدًا جيدًا للمحاولة والتجريب والنمو المتدرج الذي يسبق مرحلة النضج، ليمحوَ فكرةَ الظهور المفاجئ لكتاب سيبويه على ذلك النحو الناضج.

٧. التصريح بالنقل:

كان أحد دلائل نضج النحو قبل سيبويه أن صرَّح بنقله ممن قبله، واستفادته منهم. وكان من صور نقله عنهم: نقله ما ورد عن العرب -كما سبقت الإشارة-، فكان يكثر من العبارات التي تدلُّ على ذلك، نحو: "وحدثنا الخليل عن العرب"[٢]، أو: "وجميع ما وصفناه من هذه اللغات سمعناه من الخليل -رحمه الله- ويونس عن العرب"[٣]. وكان من صور نقله عنهم نقله الحكم على التراكيب، ومن ذلك قوله: "سألت الخليل عن قوله: أحقاً إنَّك لذاهبٌ، فقال: لا يجوز"[٤]. كما كان من صور نقله عنهم نقله تعليلاتهم، وذلك مثل قوله: "سألت الخليل عن الياءات لِمَ لَمْ تُنصب في موضع النَّصب إذا كان الأول مضافاً، وذلك قولك: رأيت معد يكرب، واحتملوا أيادي سباً؟ فقال: شبَّهوا هذه الياءات بألف مثنى حيث عرَّوها من الرفع والجر، فكما عرَّوْا

(١) تهذيب اللغة. ١/ ١٥. الفهرست. ١/ ١٩٦.

(٢) الكتاب. ٤/ ١٦٩.

(٣) المرجع السابق. ٢/ ٢١٤.

(٤) المرجع السابق. ٣/ ١٤٩.

الألفَ منهما عرَّوها من النصب أيضاً"[١]. كما نقل عنهم معاني التراكيب وتحليلها وتقديرها، وذلك كقوله: "سألت الخليل رحمه الله عن قوله:

أَلا رَجُـــــلاً جَـــــزَاه اللهُ خَيـــــراً يَـــدلُّ عَلَـــى محصـــلةٍ تَبيـــتُ[٢]

فزعم أنه ليس على التمني، ولكنه بمنزلة قول الرجل :فهلا خيرًا من ذلك، كأنه قال :ألا تُروني رجلا جزاه الله خيرًا "[٣]. كما نقل تقديرهم للمحذوفات في بعض التراكيب، وذلك نحو: "بابٌ يكون المبتدأ فيه مُضمَرًا، ويكون المبنى عليه مظهَراً "[٤]. وذلك أو تشبيه تركيب بتركيب آخر، كنقله تشبيه الخليل إهمال (إنما) ومجيئها لغوًا بمجيء الفعل (أرى) لغوًا [٥]. فعقد مشابهة بين الأحرف العاملة بالفعل في العمل وفي الإهمال بشكل محدد في موضعه. هذا ما كان من النقل المخصَّص المحدَّد في رأي أو رواية بعينها، أما النقل المجمل فظهر عنده في إيراد الآراء والتحليلات، والإشارة بعد انتهاء الشرح واستيفاء توضيح المسألة إلى أنَّ كلَّ ما ذكره للخليل أو له ولغيره من العلماء، يقول: "وجميع ما ذكرناه قول يونس والخليل"[٦]. لقد كان تصريح سيبويه ونقله عن العلماء قبله دليلا شاهدًا على جمعية وضع علم النحو وتطوره عالمًا إثر عالم بما يلغي فكرة مفاجأة نضج الكتاب.

ويُظهر النظر في طبيعة وطريقة نقل سيبويه لآراء العلماء قبله بأنه لم يكن نقلا مجردًا، بل كان نقله مفتقًا للمسائل شارحًا موسعًا، مُظهرًا أثرَ التلمذة والمشافهة التي

---

(١) الكتاب. ٣/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) المرجع السابق. ٢/ ٣٠٨، وخزانة الأدب ١١/ ١٩٣. أبو زيد الأنصاري. النوادر في اللغة. تحقيق: محمد عبد القادر أحمد. ط١. (دار الشروق. ١٤٠١/ ١٩٨١). ٢٥٦.

(٣) الكتاب. ٢/ ٣٠٨.

(٤) المرجع السابق. ٢/١٣٠.

(٥) المرجع السابق. ٢/ ١٣٨.

(٦) المرجع السابق. ٣/ ٤٦١.

اتسمت بها تلك المرحلة، فهو يسأل ويفتش ويستفسر عن آيات أو أشعار أو أحكام بما أعطى المسائل شمولية النقل والاستقصاء الدقيق. وبناءً على ذلك الأخذ والنقل عن العلماء رأى ثعلب أن كتاب سيبويه هو صنعة جمعية فقال: "اجْتَمَعَ على صَنْعَةِ "كِتَابِ سِيبَوَيْه" اثْنَان وأرْبَعُون إِنْسَانًا منهم سِيبَوَيْه، والأُصُولُ والمَسَائِل للخَلِيل [١]. ويؤيد قولَه هذا كلُّ ما سبق تفصيله من نقل الروايات والاستفادة من الأقيسة ووضع الأحكام والتحليلات واعتماد نظرية العامل. ليثبت فكرة الجهد الجمعي في الوضع والتأصيل.

وقد ظهر الحِراك العلمي قبل سيبويه في صور:

صور الحِراك العلمي النحوي قبل سيبويه:

لقد ظهرت صور متعددة من الحِرَاك العلمي قبل سيبويه تدلُّ على النشاط العلمي، ونضج الفكر النحوي، وحركة التدارس والنقاش والمناظرات التي عمقت الدرس النحوي، وقد كان من صورها:

١. الحلقات والمجالس والنقاشات العلمية:

لقد نما النحو وتطور في بيئةٍ علميةٍ نشطةٍ غلب عليها الطابع الشفهي، واحتضنته مجالس العلم وحلقات الدرس في المساجد لتكون إحدى صور الحِراك العلمي. وكان لابد لمن أراد أن يتقن العربية، ويكون عالمًا فيها أن يأخذها عن شيخ في أحد الحلقات، ويقرأ عليه ويأخذ إجازته بوثيقه يكتبها الشيخ بخط يده[٢]. وقد

---

(١) أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم. الفهرست. قابله بأصوله وأعده للنشر: أيمن فؤاد سيد. ط٢. (لندن- إنجلترا: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م). ج١/ ١٤٣.

(٢) الشامي، أمة السلام علي. رؤية في نشأة نحو. (مجلة كليات التربية العدد ٦ أغسطس ٢٠٠٥). ٧٨.

ساهمت تلك الدروس والحلقات في فتق الأذهان وتفريع المسائل بطبيعتها القائمة على النقاش والسؤال والإجابة. وبالتالي أثرت بشكل كبير في تحريك عجلة الدرس النحوي. وتذكرُ سيرُ العلماء أنَّهم على اختلاف أزمانهم كانت لهم حلقات في المساجد يدرِّسون فيها ويتناقشون مع تلاميذهم فيُسألون ويجيبون [١]، حتى إنَّهم كانوا يزاحمون المفسرين والفقهاء في المساجد، وقد نُقل عن ابن سيرين قوله: "لقد بغَّضَ إلينا هؤلاء المسجد"[٢] تصويرًا لحالهم مع النحويين وحلقاتهم في المساجد.

وقد بدأ تدريس النحو في الحلقات مع بداية التفكير النحوي، فكان أبو الأسود يعقد مجلسًا في العراق يعلِّم فيه العربية، وتعلَّم على يده كثير [٣]. وكان لعبد الله بن أبي إسحق الحضرمي (ت١١٧هـ) حلقة في المسجد الجامع، وكذلك كان للخليل حلقةٌ بالبصرة قصدها عدد من أبرز علماء النحو، كسيبويه والكسائي [٤]. كما يُروى أنه كان ليونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) حلقة بالبصرة، وكان يقصدها الأعراب [٥].

لقد مثَّلت حلقات النحو المهد الأول الذي تطور الدرس النحوي في جنباته، وساعد بفضل طابع المدارسة فيه على توسيع النظر، وتفريع المسائل، والاستفادة مما نُقل عن الأعراب، وتحليل التراكيب ومناقشتها، ووضع الأحكام وعرضها على الطلاب، وتعليمهم القياس المبني على السماع مما شكَّل بيئة علمية نشطة أدت إلى تطور النحو تطورًا سريعًا، وكانت إحدى أهم صور الحِراك العلمي في تاريخه.

---

(١) طبقات النحويين واللغويين. ٣٨.

(٢) إنباه الرواة. ٢/ ١٠٦.

(٣) المرجع السابق. ٣/ ٣٤٤.

(٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء. ٥٩.

(٥) محمد عيد. الاستشهاد والاحتجاج باللغة. رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث. (عالم الكتب١٩٨٨). ١٠.

٢. توجيه القراءات:

كان تحليل آيات القرآن وفَهم أحكامه وتوجيه قراءاته أحدَ أهم محركات البحث النحوي. والأمثلة على ذلك كثيرة، منها توجيه عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ) النصبَ في كلمة (والطير) في قوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ﴾ [١] على النصب على النداء، كقولك: " يا زيدُ والحارثَ" حين لم يمكن قول: يا زيد ويا حارث، في حين وجهها أبو عمرو بن العلاء على تقدير الفعل (سخرنا الطيرَ)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ [٢] على تقدير: " وسخرنا الريحَ"[٣]. ومنه ما نقله أبو عبيدة عن عيسى بن عمر تخريجه النصب في قول الله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [٤] بقوله: "هو ذمٌّ لها"[٥]؛ إذ كان ينصب كل اسم فيه معنى التعظيم أوالتحقير [٦]. وكان من اختيارهم للقراءات، اختيار عبد الله بن أبي إسحق قراءة النصب في قول الله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٧] بالنصب [٨]. لقد كان توجيه القراءات محركًا للبحث وصورة من صور الحِراك العلمي ظلَّ يسير بعجلة الدرس النحوي، ويفتِّق الأذهان لفَهم دقائق التراكيب، وتخريج أوجه القراءات.

---

(١) سورة سبأ، آية ١٠.

(٢) سورة سبأ، آية ١٢.

(٣) طبقات ابن سلام. ١/ ٢٠.

(٤) سورة المسد، آية ٤.

(٥) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري. مجاز القرآن. تحقيق: محمد فؤاد سزكين. (القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٣٨١). ٢/ ٣١٥.

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٧) سورة الأنعام، آية ٢٧.

(٨) طبقات النحويين واللغويين. ٣٣.

٣. الرواية عن العرب:

وقد تبيَّن فيما عرضه البحث نشاط الرواية، وملاقاة الأعراب والنقل والتدوين عنهم، ووضع ضوابطها تدريجيًّا بما يتوافق مع كلِّ مرحلة. مما بنى قاعدة لغوية قوية يمكن الرجوع إليها والاحتكام لها. وقد كانت الرواية إحدى صور الحِراك العلمي النشط التي تشكَّلت بصور مختلفة عبر تاريخ الدرس النحوي، حتى أغلق بابها بنهاية عصور الاحتجاج وذلك حتى القرن الرابع الهجري [(١)].

٤. المؤلفات المختصرة والأمالي والرسائل:

سبق تفصيل القول في المؤلفات التي كتبها أصحابها قبل سيبويه والتي توضح وجود محاولات التأليف التي تفاوتت بين المؤلفات المختصرة، والرسائل المخصصة في موضوع محدد، والأمالي التي كتبت لتدون دورس العالم ونقاشاته مما أملاه أصحابها في حلقات الدرس، وصولا إلى كتابي (الجامع) و(الإكمال) قبل ظهور سيبويه. وبناءً على دراسة تدرج التطور في محاولات التأليف يمكن القول بأن التأليف كان أحد صور الحِراك العلمي قبل ظهور كتاب سيبويه.

المرحلة الخامسة:

مرحلة التأليف المنهج المبوب (اكتمال النظرية ونضج المؤلفات):

بعد أن وصل النحو إلى مرحلة النضج الشفهي في أصوله وفروعه، وبعد أن وصلت محاولات التأليف أيضًا لمرحلة جديدة من الشمولية والاستقصاء على يد عيسى بن عمر كانت الساحة العلمية مهيأة لمرحلة جديدة تحمل ثمرة التطور الشفهي، ومحاولات التأليف في مؤلَّف شامل ناضج تبويبًا وتصنيفًا وتفريعًا، فجاء الكتاب خلاصة جهود من قبله، وثمرة تفكيرهم وتوسعهم. ليكون كتابًا جامعًا للجهود التي سبقته، ثم أضاف ووسع وشرح ووضع بصمته بجهد علمي متفرد.

---

(١) محمد حسن جبل. الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته. (دار الفكر العربي). ٨٣.

المبحث الثاني:

أ. أهم ما يميز كتاب سيبويه

قبل الحديث عن ملامح بدايات التأليف في كتاب سيبويه لابدَّ من التنبيه على مميزات الكتاب، حتى لا يَتصوَّر القارئ أنَّ مجهودَ سيبويه في الكتاب يَقتصرُ على نقلِ آراء العلماء السابقين له، فرغم اكتمالِ رسم نظرية العامل قبله، ورغم استقرارِ الأصول النحوية، وتفرعِ المسائل والدقةِ في استعمال الأدوات التحليلية قبله، إلا أنَّ الكتاب يعدُّ نقطة تحوَّل في تاريخ الدرس النحوي، حوى جوانب التميُّز التي اجتمعت في علمية المنهج، واكتمال النظرية وشمول أبواب العلم، مع شمول جمعه لآراء العلماء قبله؛ مما شكَّل نقطة تميِّز اتَّسم بها الكتاب، ليكون شاملا لأبواب العلم ومسائله ولآراء العلماء قبله، كما أن تبويبه المنظم الذي استفاد فيه من محاولة عيسى بن عمر، ومن تصنيف وتنظيم الخليل للظواهر جعله نموذجًا رائدًا في التأليف احتذاه من بعده، فضلا عما تمتع به سيبويه من التلقي العميق الذي ابتعد بكتابه عن فكرة النقل المجرد إلى الشرح والتحليل والربط ووضع ما نقل من غيره في موضعه الذي يحتاج إليه شرح المسألة، مع الدقة في النقل ونسبة الرأي لصاحبه، وإضافة البصمة الخاصة من ربط وإضافة وتحليل وتعليق. وكان من أهم النماذج التي تفرد وتميز فيها تعليقه على كلام شيخه الخليل وتقديراته، فهو يفرق بين تقدير المعنى وتقدير الإعراب، وهو وإن كان واضحًا في ذهن أستاذه بدليل ما نقله عنه سيبويه: "وكأَنّ قوله: (عَمْرَك الله، وقِعْدَك الله) بمنزلة: (نَشْدَك الله)، وإن لم يُتكلَّم بنَشْدَك الله، ولكن زعم الخليل رحمه الله أنّ هذا تمثيلٌ يمثَّل به"[(١)]. إلا أنه سار على هذه الفكرة يوضح الفرق بين تفسير المعنى وتقدير الإعراب فيما ينقله من تحليل شيخه للتراكيب، ففي نحو قوله: "وذلك قولك: ما أحسنَ عبد الله، زعم الخليلُ أنه بمنزلة

(١) الكتاب. ١/ ٣٢٣.

قولك: شيء أحسنَ عبدَ الله. وهذا تمثيل لم يُتكلم به"[١]. فهو بتعليقه هنا يفرق بين تقدير المعنى وتقدير الإعراب، ويوضح عبارة شيخه حتى لا يلتبس على القارئ تقديره لها. كما أنه كان يستوضح من شيوخه بهدف إحصاء الروايات وإثبات أحكام التراكيب، يقول: "سألت الخليل عن قول الأعشى:

لقد كان في حولٍ ثَواءٍ ثويتُهُ تُقضَى لُباناتٌ ويَسأَمُ سائمُ [٢]

فرفعه، وقال: لا أعرف فيه غيره؛ لأن أول الكلام خبر وهو واجب، كأنه قال: ففي حول تقضَّى لُباناتٌ ويَسأمُ سائم. هذا معناه"[٣]. فهو هنا يسأل الخليل عما ورد في البيت من رفع أو خلافه؛ لاستقصاء ما يجوز في هذا التركيب ونحوه.

ب. ملامح البدايات في كتاب سيبويه:

اجتمعت في كتاب سيبويه مميزات المؤلف العلمي الناضج الذي ظلَّ على مرَّ العصور مرجع النحو الأبرز، لكنه رغم كلِّ ما تميز به ناطق بالجهد الجمعي، ويحمل في طياته ملامح شاهدة على كونه في مرحلة بداية التأليف العلمي يمكن إجمالها فيما يأتي:

١. عدم تسميته

فالكتاب ليس له اسم، وإنما سمي بالكتاب لتناقل العلماء الحديث عنه بهذا اللفظ، حتى ثبت عليه، وأصبح عَلَمًا عليه بمرور الوقت. ويبدو أن السبب في ذلك هو أن المنية قد وافته قبل أن يضع له اسمًا [٤].

---

(١) الكتاب. ٣/ ٢٨.

(٢) المرجع السابق. ٣/ ٣٨. والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. شرح شواهد المغني. تحقيق: محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي. (لجنة التراث العربي. ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م). ٢ / ٨٨٠.

(٣) الكتاب. ٣/ ٣٨.

(٤) المرجع السابق. مقدمة المحقق. ١/ ٢٤.

٢. عدم وجود مقدمة وخاتمة

وللسبب نفسه لم يسعف الوقت سيبويه لأنْ يقدِّم لكتابه بمقدمة، ولا أن يردف جهده بخاتمة على ما هو معهود في كتابة المؤلفات. رغم وجودها في بعض ما وصل إلينا من الكتب التي سبقته أو عاصرت تأليفه ليوضح أن الأمر كان معهودًا عند المؤلفين، فها هو ذا كتاب (الجُمل) – إنْ صحَّت نسبته للخليل– يبدأ بمقدمة قصيرة أظهرت فكرة كتابه [١]، كما أن كتاب الكسائي (ما تلحن فيه العامة) – وهو معاصر لسيبويه – يبدأ بمقدمة له بعبارات موجزة شديدة الاختصار توضح هدفه الموافق لعنوانه، وقصده لتأليفه [٢]. وهذا غير موجود في كتاب سيبويه؛ مما يدل على أنه مسوّدة لم يسعفه الوقت لتنقيحها.

٣. إشكالية المصطلح:

إنَّ الوقوف على المصطلح النحوي في كتاب سيبويه يُظهر أنه كتاب سيبويه يمثِّل بداية التأليف الممنهج، حيث إنه يتوافق تمامًا مع مرحلته العلمية. ويمكن تحديد الإشكاليات التي ظهرت في المصطلح عنده فيما يأتي:

أ. عدم تكون المصطلح

لم تكن المصطلحات قد تكونت بعدُ واستقرت، ولم يكن سيبويه يعمد لتحديدها ووضعها، فقد كان بصدد تحديد الظواهر ووصفها، ولا يكاد الناظر في كتابه يقف إلا على بعض المصطلحات التي لم تزل تستخدم حتى يومنا هذا في النحو، كالترخيم[٣]،

---

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. الجمل. تحقيق: فخر الدين قباوة. ط٥. (١٤١٦/ ١٩٩٥). ٦٣.

(٢) الكسائي، علي بن حمزة. ما تلحن فيه العامة. تحقيق: رمضان عبد التواب. ط١. (القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: الرفاعي، ١٤٠٣/ ١٩٨٢). ٩٩.

(٣) الكتاب. ٢/ ٢٤٠.

والاختصاص[١]، والندبة[٢]، والاستغاثة[٣]، والبدل[٤]، والتعجب[٥]، في حين أن كثيرًا من المصطلحات النحوية لم تكن قد ظهرت في كتابه؛ ولذلك نجده يعبر عنها بتعبيرات يصف فيها الظاهرة ليصل إلى تحديدها، ومن ذلك: تعبيره عن الفعل اللازم بقوله: "هذا باب الفاعل الذي لا يتعداه إلى فعله"[٦]، وعن الفعل المبني للمجهول بقوله: "باب المفعول الذي لم يتعده إليه فعل فاعل"، ومثَّل على ذلك بقوله: ضُربَ زيد[٧]. وتعبيره عن الفعل المتعدي بقوله: "هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول"، ومثَّل له بقوله: ضرب عبد الله زيدا [٨]. وقسم الفعل المتعدي إلى مفعولين إلى قسمين: سمى الأول: "الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين، فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول، وإن شئت تعدَّى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول"[٩]، ومثل على ذلك بقوله: أعطى عبدُ الله زيدًا درهمًا [١٠]. وسمى الثاني: "هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين، وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر"، ومثَّل على ذلك بقوله: حَسِبَ عبدُ الله زيدًا بكرًا [١١]. وعبَّر عن المركب المزجي

---

(١) الكتاب. ٢/ ٢٣٣.
(٢) المرجع السابق. ٢ /٢٢٣.
(٣) المرجع السابق. ٢/ ٢١٥.
(٤) المرجع السابق. ١/ ٤٣٢.
(٥) المرجع السابق. ٢/ ٢١٥.
(٦) المرجع السابق. ١/ ٣٣.
(٧) المرجع السابق. ١/ ٣٤.
(٨) المرجع السابق. ١/ ٣٤.
(٩) المرجع السابق. ١/ ٣٧.
(١٠)المرجع السابق. ١/ ٣٧.
(١١)المرجع السابق. ١/ ٣٩.

بقوله: "هذا باب الإضافة إلى الاسمين اللذين ضُمَّ أحدهما إلى الآخر فجُعِلا اسمًا واحدا"(١). والكتاب مليء بمثل هذه الأمثلة التي تُظهر أن المصطلح لم يكن قد تكون عنده، وأنَّ اهتمامه كان منصبًا على تأصيل الأحكام، وتحديد الظواهر لا على وضع المصطلحات. وهو ملمح من ملامح البدايات التي ظهرت في كتابه لتكون مرآة لتلك المرحلة، التي تلاها مراحل لاحقة تطور فيها المصطلح وظهر بصورة ناضجة مستقرة.

ب. الوصف بدل الاصطلاح:

لما لم يضع سيبويه مصطلحات للظواهر في كتابه استعمل الوصف لتحديدها وتوضيحها. فكان يصفها وصفًا وظيفيًّا حسب موقع الكلمة ووظيفتها في التركيب، وقد يتمحور ذلك الوصف حول نظرية العامل، وذلك ظاهر في قوله: "هذا باب ما يعمل عمل الفعل، ولم يجرِ مجرى الفعل، ولم يتمكن تمكنه"(٢)، ومثله أيضًا وصفه اسم الفعل بقوله: "هذا باب من الفعل سمي الفعل فيه بأسماء، ولم يؤخذ من أمثلة الفعل الحادث"(٣). وكان من ضمن طرقه في تحديد الظواهر أن كان يُتبع وصفها بمثال يوضحها، ومن أمثلة ذلك قوله: " هذا باب من الابتداء يُضمر فيه ما يُبنى على الابتداء، وذلك قولك: لولا عبد الله لكان كذا وكذا"(٤). وقد يكون الوصف عن طريق التشبيه، فيشبه ظاهرة بأخرى لصفة مشتركة بينهما، ولعدم وجود مصطلح دال

(١) الكتاب. ٣/٣٧٤.
(٢) المرجع السابق. ١/ ٧٢.
(٣) المرجع السابق. ١/ ٢٤١.
(٤) المرجع السابق. ٢/ ١٢٩.

عليه، وذلك مثل تشبيهه الحروف العاملة بالفعل في العمل، قال: " الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده"(١).

ج. اختلاط المصطلح:

وكان من مظاهر اختلاط المصطلح في كتابه:

- استخدم المصطلح للتعبير عن أكثر من ظاهرة: فهو يستخدم الاسم المبهم للدلالة على اسم الإشارة مرة (٢)، وعلى الضمائر مرة أخرى(٣)، وعلى (ما) الموصولة مرة ثالثة(٤)، وليس ذلك إلا لاشتراكها في صفة الإبهام. كما ظهر استخدامه المصطلح الواحد للدلالة على أكثر من ظاهرة في استخدامه لفظ المضمر للدلالة على الضمير مرة (٥)، وعلى المضمر في النية، وهو عكس الظاهر مرة أخرى (٦).
- استخدم أكثر من وصف للتعبير عن الظاهرة الواحدة، فعبر عن المفعول لأجله بقوله: "باب ما يَنتصب من المصادر؛ لأنَّه عُذْرٌ لوقوع الأمر فانتَصبَ لأنَّه موقوع له، ولأنَّه تفسيرٌ لما قبلَهِ"(٧)، فاستخدم لفظ المصدر ثم بعض المحددات، ككونه عذرًا لوقوع الفعل، وكونه

(١) الكتاب. ٢/ ١٣١.
(٢) المرجع السابق. ١/ ١٤٥.
(٣)المرجع السابق. ١/ ٢٧٧.
(٤)المرجع السابق. ٢٢٨/٤.
(٥)المرجع السابق. ٢/ ٣٦٦.
(٦)المرجع السابق. ٢٧٧/١. ٢/ ٣٧٧.
(٧)المرجع السابق.١/ ٣٦٧.

موقوعًا له. كما عبَّر عن الخبر مرة بالمسند [١]، ومرة بالمبني على المبتدأ[٢]، ومرة بالمستقر[٣]. وراوح بين استعمال جملة الصلة والحشو[٤]. ولعلَّ سبب تعدد المصطلح الدالِّ على الظاهرة الواحدة عنده عائدٌ إلى أنَّه لا يعني به الاصطلاح، إنما يقصد الوصف، وكلُّ تلك الأوصاف تَصدُق على ما يصفُ من ظواهرَ من جهة ما.

- استخدم أسماء لم يكتب لها البقاء، وتغيَّرت مع تقدم الدراسة النحوية: كان من ضمن الإشكاليات التي ظهرت في المصطلح في كتاب سيبويه وجود أسماء لم يُكتب لها البقاء كتسمية ظرف الزمان بالأحيان والوقت[٥]. يقول في أحد مواضع حديثه عنه: " باب الأحيان في الانصراف وغير الانصراف"[٦]. ومن الأسماء التي لم يكتب لها البقاء في الدرس النحوي أيضًا تعبيره عن أعلام الأمصار بقوله: " هذا باب أسماء الأرضين"[٧].

وقد أدّت طريقة سيبويه في وصف الظواهر، وعدم وضع المصطلحات إلى طول أسماء الأبواب، ووقوع الخلط في المصطلحات والظواهر لتشابه الظواهر في بعض الصفات، والاحتياج المستمر إلى قراءة النص بشكل متكامل، والوقوف على المحددات والأمثلة الشارحة لتحديد الظاهرة المقصودة في ظلِّ غياب المصطلح.

---

(١) المرجع السابق. ٢/ ١٢٦.

(٢)الكتاب. ٢/ ١٢٧.

(٣) المرجع السابق. ٢/ ١٢٥.

(٤)المرجع السابق. ٢/ ١٠٦.

(٥) المرجع السابق. ٣/ ٢٩٣. ١/ ١٢٦. ١/ ٤٠٣.

(٦) المرجع السابق. ٣/ ٢٩٣.

(٧) المرجع السابق. ٣/ ٢٤٢.

٤. التعريفات والحدود:

لم يُعَرِّف سيبويه الظواهر اللغوية في كتابه، بل كان يصفها، كما لم يُعرِّف العامل ولا الحذف ولا التقدير، ولا الإضمار، وهي أدوات التحليل النحوي التي استخدمها في كتابه. وهذا دليل آخر على أنَّ كتابه يُمثل مرحلة بدايات التأليف الناضج، فهو من جهة أظهر اكتمال النظرية النحوية ونضج الأصول وثبات الأدوات التحليلية، ومن جهة أخرى لا يزال في طور النمو. كما يمكن الاستناد إلى طريقته في عدم تعمد وضع المصطلح وصياغة التعريفات والحدود إلى أنَّ نشأة النحو كانت نشأة عربية خالصة، دون تأثر بالمنطق الأرسطي، أو الفلسفة الإغريقية؛ لأنه لو كان متأثرًا بها لقَصَدَ إلى وضع المصطلحات ورسم الحدود.

٥. أسماء الأبواب:

سبق وأن تعرض البحث إلى أسماء الأبواب في حديثه عن إشكاليات المصطلح. وهو أحد ملامح بدايات التأليف الظاهرة في كتاب سيبويه. حيث يَظهر الوصف في تحديد تلك الأبواب؛ مما أدى إلى طول أسمائها، وتعقيدها وغموضها واختلاطها بغيرها؛ وبالتالي خلق صعوبة في العودة للظواهر في أبوابها. وقد تجاوز الأمر طول الأبواب وتعقيد أسمائها إلى عدم القدرة على تحديد الظاهرة المقصودة إلا بالرجوع إلى الأبواب السابقة لمعرفة الظاهرة التي يتحدث عنها. ومن أمثلة ذلك ما عنونه بقوله: "باب ما الرفع فيه الوجه"[(١)]، و "باب ما لا يكون فيه إلا الرفع"[(٢)]، وكلها تابعة لحديثه عن المصدر وأحواله نصبًا ورفعًا، وهو مفهوم من تسلسل الأبواب المتتابعة لا من اسم الباب.

---

(١) الكتاب. ١/ ٣٦٥.

(٢) المرجع السابق. ١/ ٣٦٦.

٦. امتزاج العلوم اللغوية:

كان الكتاب شاملا للعلوم اللغوية، فقد شمل النحو، وبعض أبواب البلاغة، وعلم الأصوات، وهذا لا يعدُّ عيبًا فيه، وإنما هو سمة لمرحلة بداية التأليف اللغوي تدلُّ على قربه منها، حيث كانت العلوم اللغوية في بداية الدرس اللغوي متداخلة، وكانت تسمى بعلم العربية، ثم تخصصت دراستها بشكل مستقلٍّ مع مرور الوقت(١). وكان من مباحث علم البلاغة التي قد تحدث عنها في أبواب مستقلة، حديثه عن التقديم والتأخير وأثره على المعنى في باب: " هذا باب تخبر فيه عن النكرة بنكرة. والتقديم والتأخير في هذا بمنزلته في المعرفة"(٢)، ومنه أيضًا قوله: "هذا باب ما غلبت فيه المعرفة النكرة"(٣). كما خصص بعض الأبواب للحديث عن بعض الموضوعات الصرفية، مثل: افتراق فعلت وأفعلت في الفعل للمعنى(٤)، وما اعتلَّ من أسماء الأفعال(٥)، وما ذهبت عينه(٦)، وما ذهبت لامه(٧). كما كان للجانب الصوتي في كتابه نصيب، فكان مما تحدث عنه: ما يُحذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن(٨)، وعدد حروف العربية ومخارجها(٩)، والإدغام في أحرف طرف اللسان والثنايا(١٠)، وغيرها من الموضوعات الصوتية.

---

(١) محمود فهمي حجازي. النحو وعلم العربية. (دار غريب). ٥٩-٦٣.

(٢) الكتاب. ١/٥٤، ٥٥.

(٣) المرجع السابق.٢/ ٨١.

(٤) المرجع السابق. ٤/ ٥٥.

(٥) المرجع السابق. ٤/ ٣٤٨.

(٦) المرجع السابق. ٣/ ٤٥٠.

(٧)المرجع السابق. ٣/ ٤٥١.

(٨) المرجع السابق.٤/ ١٥٦.

(٩) المرجع السابق. ٤/ ٤٣١.

(١٠) المرجع السابق.٤/ ٤١٨.

٧.عدم الاستشهاد بالحديث

كان من ملامح بدايات التأليف في كتاب سيبويه عدم استشهاده بالحديث النبوي الشريف. وقد سبق وأن فصلت القول في بحث نشرته بعنوان (استشهاد ابن مالك بالحديث النبوي وأثره في تقعيد الأحكام النحوية)[١] الحديث عن السبب الذي أدَّى إلى عدم استشهاد سيبويه والنحويين قبله وبعده بالحديث النبوي، أو فلنقل عدم تصريحه بكون بعض ما استشهد به حديثًا نبويًّا عن رسول الله ـﷺـ، فقد كان ينقله كما ينقل كلام العرب وآثارهم، وكأنَّه واحدٌ منها[٢]. وقد ذكر بعض الباحثين أنَّ سيبويه قد استشهد بثلاثة أحاديث، وأوصلها بعضهم إلى خمسة أحاديث[٣] يمكن أن نذكر مواضعها وعبارة سيبويه التي توضح تعامله معها، وعدم نسبتها لرسول الله –ﷺ–، منها قوله: " وأما قولهم: " كلُّ مولود يُولَدُ على الفطرة، حتى يكون أبواه اللذان يهودانه وينصرانه"[٤]، ففيه ثلاثة أوجه: فالرفع وجهان، والنصب وجه واحد"[٥]. فهو يضيف القول إلى الضمير وكأنَّه من كلام عامة العرب، وفي موضع آخر يقول: "مثل

---

(١) علا البار. استشهاد ابن مالك بالحديث النبوي وأثره في تقعيد الأحكام النحوية، (دراسة نظرية تطبيقية). مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية. العدد الأربعين– الإصدار الرابع. ديسمبر ٢٠٢٤. (٣٢٢٠ – ٣٢٩٦).

(٢) فهيد الرباح. إشكالية عدم احتجاج سيبويه بالحديث، وعدم رفع ما أورده حديثًا. درك منزعه، وعرض حجته. (مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية. ع ٣٦، ديسمبر– ١٤٤٣/ ٢٠٢١). ١٩٦٦.

(٣) خديجة الحديثي. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف. (١٩٨١). ٧٧.

(٤) رقم الحديث: ١٣٨٥. رواه أبو هريرة. محب الدين الخطيب. صحيح البخاري. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه. ط١. (القاهرة: المكتبة السلفية ١٤٠٠).

(٥) الكتاب. ٢/ ٣٩٣.

ذلك: ما من أيامٍ أحبَّ إلى الله عز وجل فيها الصَّومُ منه في عشرِ ذي الحجة"[١] فقد أورد الحديث في معرض تمثيله دون نسبة أو إسناد إلى الرسول -ﷺ-. لقد التزم سيبويه بهذا المنهج في كتابه من عدم نسبة ما يستشهد به من حديث رسول الله -ﷺ-، يقول في موضع ثالث: " ومثلُ ذلك: ونَخْلَعُ ونَتْرُكُ من يَفْجُرك"[٢]. واستشهد به أيضًا بقوله: "وتقول: إني عبد الله؛ مصغِّراً نفسه لربه، ثم تفسر حال العبيد فتقول: آكِلاً كما تأكل العبيد"[٣]. وكان من تلك المواضع أيضًا: "وأمّا سُبّوُحاً قُدُّوساً رَبَّ الملائكةِ والرُّوحِ، فليس بمنزلة سُبحانَ اللهِ"[٤].

ويمكن إرجاع سبب عدم نسبة سيبويه الحديث للنبي -ﷺ- إلى عدم استقرار علم الحديث وقتها، وعدم وضع كتب الصحاح حتى ذلك الوقت، فالبخاري ولد عام (١٩٤هـ)[٥]، وهو متأخر عن مرحلة التقعيد النحوي، وعن وضع سيبويه كتابه. وإن

---

(١) الكتاب. ٢/ ٣٢.

(٢) الكتاب. ١/ ٧٤. الراوي: عبيد بن عمير، أحمد بن الحسين البيهقي. السنن الكبرى للبيهقي. (بيروت: دار المعرفة. ١٤١٣). ٢/٢١١.

(٣) الكتاب. ٢/ ٨٠. وجدته في رواية عائشة رضي الله عنها بلفظ: " آكلُ كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد". رواه يحيى بن أبي كثير. عمر بن علي بن الملقن. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير. تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي، وآخرون. ط١. (الخبر: دار الهجرة. ١٤٢٥). ٧/٤٤٥.

(٤) الكتاب. ١/ ٣٢٧. وردت رواية الرفع في نقل عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قوله في رُكوعِه: "سبُّوحٌ قدُّوسٌ، ربُّ الملائِكةِ والرُّوحِ". رقم الحديث: ٤٨٧. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط١. (دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه. ١٣٧٤).

(٥) محمد أبو الهدى اليعقوبي. مدخل إلى صحيح البخاري. ط١. (لندن- المملكة المتحدة: دار توقيعات١٤٤٠/ ٢٠١٩). ٢٤.

كان تأليف كتاب الموطأ لابن مالك معاصرًا لسيبويه (ت١٧٩هـ)[١]، إلا أنَّ الموطأ كتاب فقه، يُعنى بما يثبت الحكم الفقهي لا بلفظ ونص الحديث وسنده؛ لذا فقد جمع الأحاديث الصحيحة والضعيفة؛ هذا ما جعل سيبويه لا ينسب النص لرسول الله ﷺ، خوفًا من أن يقع في قوله ﷺ: " من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[٢].

ولهذا كان الاستشهاد بالحديث النبوي أحدَ الأمور التي نضجت متأخرًا في الدرس النحوي. ورغم ذلك النضج ظلَّ بعضُ النحويين متمسكًا بعدم الاستشهاد به، وعارض من قام بالاستشهاد بذلك، وبقي الأمر بين التأييد والمعارضة، وكان مما ساعد المؤيدين في تلك المرحلة من الدرس النحوي، وفتح لهم باب الاستشهاد بالحديث النبوي، استقرار علم الحديث، ووضع كتب الصحاح، هذا ما حرك بعض النحويين وفتح أذهانهم لوجود تصنيفات مختلفة من الحديث صحةً وضعفًا. وقد بدأ هذا الأمر على أيدي نحاة الأندلس فبدأ ابن خروف (ت٦٠٩هـ) بتوسيع دائرة الاستشهاد ليجعلَ الحديث أصلا يُعتمد عليه[٣] بعد أن اقتصرَ الاعتماد على القرآن وقراءاته وأشعار العرب وأقوالهم، وعلى عدد محدود من الأحاديث دون نسبة أو إشارة؛ مما فتح الباب ولفت الأذهان إلى ضرورة الالتفات إلى هذا المصدر في الاستشهاد، وتلاه ابن مالك (ت٦٧٢هـ) الذي وسَّع الاستشهاد بأحاديث النبي -ﷺ- واستندَ إلى كتاب صحيح البخاري في جُلَّ ما ذَكرَ ليضعَ لهذا الأصل النحوي وضعه

---

(١) مالك بن أنس. الموطأ. تحقيق: سليم بن عيد الهلالي السلفي. (مجموعة الفرقان، ١٤٤٢/ ٢٠٠٣). ١/ ١٠٥. مقدمة المحقق.

(٢) الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. الجامع الصحيح. تحقيق: جماعة من العلماء. ط١. (بيرت- دار طوق النجاة، ١٤٢٢). رقم الحديث (١٠٧). ١/ ٣٣.

(٣) الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث. ١٠٩، ١١٠.

ومكانته التي يستحقها في التقعيد النحوي بعد أن درسَ صحيح البخاري، وقرأ نسخًا متعددة منه[١]، وشرحه لتلاميذ البخاري بناءً على طلبٍ منهم[٢]، فأصَّلَ وبنى الأحكام على أساسه حتى إنه كان يقدِّم الاستشهاد بالحديث على الاستشهاد بأشعار العرب[٣]، فكان أكثر من استشهد بالحديث النبوي وجعله أصلا وأعاد استقراء القواعد بشكل موسَّع على أساسه ليردُّ به حكم الضرورة، ويقبل به استعمالا، ويردُّ به آخر[٤]. وتلاه عدد من النحويين بعده، كابن هشام (ت٧٦١هـ)، والشلوبيني (ت٦٤٥هـ)، وغيرهما[٥].

٨. المنهج:

يمكن من خلال ما سبق الوقوف عليه الوصول إلى المنهج الذي سار عليه سيبويه في الكتاب، حيث يبدو المنهج الوصفي غالبًا على استعماله[٦]، وهذا في حدَّ ذاته ملمح من ملامح البدايات في كتابه؛ فمن المعلوم أنَّ الدرس النحوي بدأ وصفيًّا، ثمَّ اتجه شيئًا فشيئًا إلى المعيارية[٧]. وكان من دلائل الوصفية في كتاب سيبويه اعتماده على السَّماع من العرب في فترة زمنية وحدود مكانية، وبدقة عالية، وهذا

---

(١) جمال الدين محمد بن عب الله الطائي الجياني الأندلسي. شرح التسهيل. تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون. (دار هجر. ١٤١٠/ ١٩٩٠). ٣/ ١٥٩.

(٢) أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني. كتاب شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح. تحقيق: طه محسن. ط١. (مكتبة ابن تيمية. ١٤٠٥ هـ). ١١.

(٣) استشهاد ابن مالك بالحديث النبوي وأثره في تقعيد الأحكام النحوية. ١٣.

(٤) المرجع السابق. الموضع نفسه.

(٥) الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث. ١١١.

(٦) رمضان عبد التواب. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث. (مكتبة الخانجي). ٣١٧.

(٧) صالح الحاج. منطق العرب في علوم اللسان. (الجزائر: موفيم للنشر. ٢٠١٢). ٢٤، ٢٥.

العمل امتداد لما أسسه النحويون قبله. كما كان من دلائل الوصفية عنده استعماله القياس الطبيعي البعيد عن التعقيد. وظهر الوصف عنده في أسماء الأبواب، ووصف الظواهر بما شكل بديلا عن وجود المصطلح، وبما يتناسب مع بدايات التأليف وطبيعية تطور العلم. وقد كان من أهم ملامح الوصفية عنده شمول كتابه العلوم اللغوية؛ إذ لم تكن العلوم اللغوية مستقلة حينها. وقد سبق أن فصل البحث كل ملمح منها بأمثلة في موضعه.

وفي المقابل لم يخلُ الكتاب من المعيارية التي يمثلها حكمه على بعض التراكيب بأنها لا تصحُّ أو غير جائزة أو قبيحة أو غير ذلك من الأوصاف المشابهة التي تحتكم إلى معيارية الصواب والخطأ سواء كان ذلك بنقله أو بحكمه يقول في كتابه: " ولم يجز الخليل ويونس –رحمهما الله– "كم غلمانا لك""[1]. ومما ذكره بحكمه قوله: "لو قلت: السقي لك، والرعي لك لم يجز"[2]. وليست غلبة الوصفية أو وجود المعيارية بعيب في المنهج، لكن غلبة الوصفية تدل على قربه من بدايات النحو.

كما تميَّزَ منهج الكتاب بغلبة الطابع العلمي في عرض المسائل النحوية، فكان يهدف إلى اكتشاف المبادئ، وعرض الأصول، وتحليل الظواهر، وتعليلها؛ للوصول إلى النظرية اللغوية والنظام الذي يكمن خلف ذلك الانتظام وتلك التراكيب.

وبالنسبة لطريقة عرض القاعدة وصياغتها فقد كان عرضه للقاعدة أقرب إلى عرض الأحكام النحوية، دون تشكل القاعدة بمفهومها التعليمي، فقد كان يعرضها في قالب وصفي تحليلي مدعمة بالمثال، أو بالمقارنة والتشبيه لما يشابهها تركيبًا أو معنى، وقد يستخدم أسلوب السؤال والجواب والحوار والمناقشة؛ مما يوضح أثر المرحلة التي سبقته ليُظهر ملامح البدايات في مؤلفه، ويُظهر كونه حصيلة مدارسة

---

(١) الكتاب.٢/ ١٥٩.

(٢) المرجع السابق. ١/ ٣٢٩.

ومجالسة، ونقاش، تعطي صورة واضحة عن أثر انتقال العلم في سلسلة متواصلة حملت كلُّ مرحلة فيها أثر المرحلة التي سبقتها.

المبحث الثالث

الدراسات النحوية بعد سيبويه:

لا يمكن حصر الجهود النحوية بعد سيبويه، لكنْ من غير المنصف أن نجحد وجودها اكتفاء بما وجد عنده. إنَّ معرفة القيمة العلمية للكتاب لا تعني أبدًا أن يُطرح جهد من سواه. فالعلمية تقتضي أن نذكر أن هناك جهودًا علمية رائدة، وذات أثر في الدرس النحوي بعضها دار في فلك كتاب سيبويه شرحًا لعبارته وشواهده، وبعضها الآخر انطلق من القواعد نفسها بعرضها بطريقته الخاصة التي تهدف لتقريبها من المتعلمين لتكون سهلة المنال، واضحة القاعدة والشواهد والأمثلة والصياغة، فظهر بالتالي نمط التأليف التعليمي. وتلك المؤلفات منها المختصرات، والمنظومات، والشروح، وهي – وإن لم تضف في قواعد النحو كثيرًا– لكنها تلبي ضرورة تعليمية مهمة.

ومن جهة المادة العلمية في المؤلفات فقد تطور النحو والتأليف فيه بأن استقلت علوم العربية وتفرعت، فأصبح كلُّ علمٍ مستقلا بمؤلفات خاصة به، كما ظهرت كتب في موضوعات نحوية فرعية، كالكتب الخاصة بالعلل، مثل كتاب الإيضاح في علل النحو(١)، وكتب متخصصة بأصول النحو، مثل كتاب الاقتراح في أصول النحو، وكتب متخصصة بالعوامل، مثل كتاب العوامل المئة(٢).

---

(١) أبو القاسم الزجاجي. الإيضاح في علل النحو. تحقيق: د. مازن المبارك. ط٣. (بيروت: دار النفائس، ١٣٩٩/ ١٩٧٩).

(٢) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني. العوامل المئة. عني به: أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني. مشفوعًا بـ: الضوابط الكلية في نظم العوامل الجرجانية للحنبلي، ومنظومة "كفاية الكرام" للبوني و "هداية الفخام شرح كفاية العوام للأنغدي". ط١. (دار المنهاج ١٤٣٠/ ٢٠٠٩).

كما تغير منهج الدراسة النحوية من المنهج الوصفي إلى المنهج المعياري، ودخلت آثار الفلسفة والمنطق في العلل والتأويلات.

وإذا ما نظرنا إلى المذاهب النحوية باعتبار خلافها أمرًا ذا أثر في الدرس النحوي، نجدها محركًا جيدًا للحِراك العلمي وتطور الفكر النحوي، فقد خلقت سعة لغوية بفضل اختلاف الآراء.

وكان من الجهود الرائدة التي جاءت في مرحلة متأخرة وأحدثت تطورًا في استعمال أصول النحو ما أحدثه ابن خروف (ت ٦٠٩ هـ)، وابن مالك (ت٦٧٢هـ) ذلك النحوي الأندلسي الفذ ببصمته الرائدة في الدرس النحوي من اعتماد الحديث النبوي مصدرًا لاستقراء القواعد، بعد أن استقرَّ وضع كتب الصحاح. فكانت تلك إضافة في صميم علم النحو، وفي أصل من أصوله لا يمكن أن تنكر أو تنسى.

وكان من الجوانب التي نمت تطورت في الدرس النحوي التطبيق النحوي والدراسات القرآنية، فقد ظهرت كتب إعراب القرآن، مثل: كتاب إعراب القرآن للنحاس (ت٣٣٨هـ)[١]، وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه (ت٣٧٠هـ)[٢]، وغيرهما. وكتب التفسير التي تجعل الدراسة النحوية جزءًا أساسيًّا للنظر في الآيات، وكان من أبرز النماذج على الدراسة التطبيقية للقواعد النحوية في كتب التفسير: البحر المحيط لأبي حيان[٣]، والدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون[٤]، وغيرهما.

---

(١) أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي النحاس. إعراب القرآن. تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم. ط١. (منشورات محمد علي بيضون. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢١).

(٢) أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه. كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم. (مطبعة دار الكتب المصرية. ١٣٦٠هـ -١٩٤١م).

(٣) أبو حيان محمد بن يوسف. البحر المحيط. تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وآخرون. (بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية).

(٤) أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد الخراط. (دمشق: دار القلم).

الخاتمة

بعد النظر في تاريخ النحو وتتبع تطور الأصول النحوية، والأدوات التحليلية، وتفرع المسائل قبل سيبويه، وبعد النظر في كتابه خرج البحث بكون الكتاب شاهدًا ناطقًا بالجهد الجمعي، وبأنه رغم نضجه وتفرده يحوي ملامح بدايات التأليف العلمي الناضج. وقد خرج البحث كذلك بعدد من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

١. وقوع اللحن مرّ بمراحلَ ومنحنيات، وتطوَّرَ حتى أصبحَ ظاهرة شائعة، ومشكلة تحتاجُ إلى حلٍّ لغويٍّ عاجل.

٢. تمثَّل نتاج مرحلة النشأة في إيجاد حلٍّ لمشكلة اللحن جاء في ثلاثة أمور:

أ. ألا يُقرئ القرآن إلا عالم بالعربية.

ب. نقط القرآن الكريم نقطَ إعراب.

ج. وضعُ أول مدونة نحوية.

٣. مرَّت رواية الشعر بمراحل أولها تناقله أيام الجاهلية بهدف ثقافي، ثم تحول هدف روايته إلى الهدف اللغوي، ثم إلى التقعيد واستقراء الأحكام، وكان ذلك عن طريق الأخذ عن الأعراب الوافدين إلى البصرة والكوفة، ثم الرحلة إلى البادية.

٤. نمو الأصول النحوية قبل سيبويه، بتحديد المعيارين الزماني والمكاني في السماع، وضبط مواصفات الأعرابي، واختباره قبل الأخذ منه، وتطور القياس وتوسعه واقترانه بالعلل.

٥. عمق القياس وتشعب مسائله على نحو دقيق قبل سيبويه.

٦. نمو الأدوات النحوية، وتفريع المسائل، بما يثبت تعمق الدراسة النحوية قبل سيبويه.

٧. ظهور نظرية العامل وتبلورها على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي قبل سيبويه.

٨. تنوع محاولات التأليف قبل سيبويه بين الأمالي، والرسائل والمدونات المختصرة يدلُّ على النمو الطبيعي في وضع المؤلفات والكتب قبله.

٩. ظهور فكرة المؤلف المتكامل المبوب على يد عيسى بن عمر، وبالتالي ظهور مبدأ التقصي والشمول للظواهر التركيبية.

١٠. استفادة سيبويه من مجموع ما وجد في الساحة العلمية، وأخذه من شيوخه، مع إضافة بصمته بكثرة الجمع والتحقيق والسؤال، وفتق المسائل وتفريعها، والجمع بين الآراء، ليكون الكتاب مرجعًا شاملا ليس للنحو فحسب، بل لآراء العلماء واستنتاجاتهم، وتعليلاتهم، ونقلهم عن العرب. وهذا ما أعطاه سمة شمولية العلم، وشمولية الآراء، وجعله الباب الأبرز الذي وصلت منه آراء علماء تلك الفترة.

١١. عناية سيبويه بالتفريق بين تقدير المعنى وتقدير الإعراب بشكل واضح، فيما نقله عن شيخه الخليل.

١٢. كان من ملامح بدايات التأليف العلمي الناضج في كتاب سيبويه:

أ. غياب العنوان الصريح للكتاب.

ب. غياب العناية بوجود مقدمة وخاتمة.

ج. وجود إشكاليات تتعلق بالمصطلح، منها: عدم تكونه، واستخدام الوصف بدلا من الاصطلاح، واختلاط المصطلح.

د. عدم القصد لوضع تعريفات وحدود للظواهر والأدوات، ولنظرية العامل. واحتمال كون ذلك ناتجًا عن الانشغال باستنباط الأحكام، وتأصيل العلم، وتفريع مسائله.

هـ. كان من ملامح البدايات في كتاب سيبويه قربه للمنهج الوصفي، وهو من علامات قربه من مراحل بداية النحو، وكان من مظاهر استعماله لذلك المنهج في كتابه:

١٣. شموله العلوم اللغوية.

١٤. صياغته للقاعدة بشكل وصفي يمثِّل النحو العلمي.

١٥. الاعتماد على السماع من الأعراب، والنقل عن الثقة منهم.

١٦. ظهور المعيارية المتمثلة في إطلاق حكم الصواب والخطأ على الكلام والمتكلمين.

١٧. كان من ملامح البدايات في كتاب سيبويه عدم الاعتماد على الحديث النبوي الشريف في الاستقراء والتقعيد، وهذا أمر لم يستقر إلا في وقت متأخر من الدرس النحوي حتى بلغ تمامه على يد ابن مالك.

١٨. غلبة الطابع الشفهي المبني على السؤال والنقاش يدلُّ على أن الكتاب هو ثمرة الحلقات وأقرب إلى طبيعتها، وأنه يعدُّ جزءًا من عملية تعليمية شفوية وتأليف علمي ناضج مبكر.

١٩. تنوعت صور وصف الظواهر في كتاب سيبويه لتشمل استخدام الوصف عن طريق موقع الكلمة من التركيب، أو وظيفتها وعملها. أو إتباع الوصف بمثال توضيحي، أو تشبيه تركيب بتركيب آخر لصفة مشتركة بينهما.

٢٠. لقد أدت طريقة الوصف إلى إحداث التداخل في الدلالة على الظاهرة؛ مما اضطره إلى وضع المحددات.

٢١. إثبات سمة التطوُّر الطبيعي التدريجي للنحو العربي، مما يجعل نضج الكتاب وشموله عملا ممهدًا له.

٢٢. إثبات سمة الجهد الجمعي الذي كان الكتاب دليلا شاهدًا عليه.

قائمة المراجع:

- الأصفهاني. أبو فرج. علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصفهاني. (١٤١٥هـ) الأغاني. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الأفغاني، سعيد. (١٣٧٩/ ١٩٦٠). أسواق العرب في الجاهلية والإسلام. ط٢. دمشق: دار الفكر.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات. (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م).

نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق: إبراهيم السامرائي. ط٣. الزرقاء- الأردن: مكتبة المنار.

- الألباني، محمد ناصر الدين. ضعيف الجامع الصغير وزيادته. (١٤٣٤). إشراف: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي.
- أمين، أحمد. ضحى الإسلام. ط٢. بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي.
- الأنصاري، أبو زيد. النوادر في اللغة. (١٤٠١/ ١٩٨١). تحقيق: محمد عبد القادر أحمد. ط١. دار الشروق.
- البار، علا. استشهاد ابن مالك بالحديث النبوي وأثره في تقعيد الأحكام النحوية، (دراسة نظرية تطبيقية). مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية. العدد الأربعين- الإصدار الرابع- ديسمبر ٢٠٢٤. (٣٢٢٠ – ٣٢٩٦).
- البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. (١٤٢٢). الجامع الصحيح. تحقيق: جماعة من العلماء. ط١. بيروت: دار طوق النجاة.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر:

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. (١٤١٨/ ١٩٩٧). تحقيق: عبد السلام هارون. ط٤. القاهرة: مكتبة الخانجي.

شرح أبيات مغني اللبيب. (١٣٩٣/ ١٤١٤). تحقيق: عبد العزيز رباح أحمد يوسف. ط٢. مركز النخب العلمية. أوقاف عبد الله الضحيان الخيرية.

- البيهقي، أحمد بن الحسين. السنن الكبرى. (بيروت: دار المعرفة. ١٤١٣).
- التنوخي، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. (١٤١٢/١٩٩٢). تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. ط٢. القاهرة: هجر للطباعة والنشر.
- جبل، محمد حسن. الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته. دار الفكر العربي.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. العوامل المئة. عني به: أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني. مشفوعًا بـ: الضوابط الكلية في نظم العوامل الجرجانية للحنبلي، ومنظومة "كفاية الكرام" للبوني و"هداية الفخام شرح كفاية العوام للأنغدي". (١٤٣٠/ ٢٠٠٩). ط١. دار المنهاج.
- الجمحي، محمد بن سلام بن عبيد الله. طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. المكتبة العلمية.
- الحاج، صالح. منطق العرب في علوم اللسان. (٢٠١٢). الجزائر: موفيم للنشر.
- حجازي، محمود فهمي. علم اللغة العربية. دار غريب.
- حسين، طه. في الأدب الجاهلي. دار المعارف.
- حلواني، محمد خير. المفصل في تاريخ النحو العربي. (١٣٩٩/ ١٩٧٩). ط١. مؤسسة الرسالة.

- الحمزي، هدى أحمد عبد الله. القيمة العلمية لكتاب سيبويه. مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية. مج٧/ ع ٣٤. يوليو- سبتمبر ٢٠٢٠.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. معجم الأدباء. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. (١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م). تحقيق: إحسان عباس. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- أبو حيان، محمد بن يوسف. البحر المحيط. تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وآخرون. بيروت- لبنان: دارا الكتب العلمية.
- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد. كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم. ١٣٦٠هـ -١٩٤١م. مطبعة دار الكتب المصرية.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي. وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان. (١٩٠٠) تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. (١٤٢٧/ ٢٠٠٦). خرج أحاديثه واعتنى به: محمد أحمد الشبراوي. القاهرة- مصر: دار الحديث.
- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي. تاريخ آداب العرب. دار الكتاب العربي.
- الرباح، فهيد بن رباح. إشكالية عدم احتجاج سيبويه بالحديث، وعدم رفع ما أورده حديثًا. درك منزعه، وعرض حجته. مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية. (ع ٣٦، ديسمبر) (١٤٤٣/ ٢٠٢١). ١٩٦٦
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي. طبقات النحويين واللغويين. (سلسلة ذخائر العرب ٥٠). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢. دار المعارف.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي:
  - الإيضاح في علل النحو. تحقيق: مازن المبارك. (١٤٠٦/ ١٩٨٦). ط٥. بيروت: دار النفائس.
  - مجالس العلماء. تحقيق: عبد السلام هارون. (١٤٠٣/ ١٩٨٣). ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي. الرياض: دار الرفاعي.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد الخراط. دمشق: دار القلم.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. (١٤٠٨/ ١٩٨٨). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- السيرافي، الحسن بن عبد الله المرزبان. أخبار النحويين البصريين. (١٣٧٣/ ١٩٦٦). تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي. الناشر: مصطفى البابي الحلبي.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:
  - الإتقان في علوم القرآن. (١٣٩٤/١٩٧٤). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
  - الاقتراح في أصول النحو. (١٤٠٩/ ١٩٨٩). تحقيق وشرح: د. محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح). ط١. دمشق: دار القلم.
  - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. محمد أبو الفضل إبراهيم. لبنان– صيدا: المكتبة العصرية.
  - سبب وضع العربية. تحقيق: مروان العطية. (١٤٠٩/١٩٩٨). ط١. بيروت– دمشق: دار الهجرة.

- شرح شواهد المغني. (١٣٨٦/ ١٩٦٦). تحقيق: محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي. لجنة التراث العربي.
- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، ومعه كتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني

كتاب إلكتروني فيه أحاديث الجامع الصغير وزيادته للسيوطي، مع حكم الشيخ ناصر من صحيح أو ضعيف الجامع الصغير

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. (١٤١٨/ ١٩٩٨). تحقيق: فؤاد علي منصور. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

- بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. (١٤٠٤/ ١٩٨٤). دار المعارف.
- الشامي، أمة السلام علي. رؤية في نشأة نحو. مجلة كليات التربية العدد ٦ أغسطس ٢٠٠٥.
- أبو شهبة، محمد بن محمد. السيرة النبوية المطهرة في ضوء القرآن والسنة. (١٩٩٢). ط٢. دار القلم.
- ضيف، شوقي. العصر العباسي الأول. (١٩٩٦)، ط٦. القاهرة: دار المعارف.
- الطنطاوي، محمد. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة. (١٤٢٦/٢٠٠٥). تحقيق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل. ط١. مكتبة إحياء التراث الإسلامي.
- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي. مراتب النحويين. (١٤٣٠) تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصريّة.
- عبادة، محمد إبراهيم. عصور الاحتجاج في النحو العربي. القاهرة: دار المعارف.

- ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس. (١٤١٣/١٩٩٣). تحقيق: محمد أحمد الدالي. ط١. الجفَّان والجابي للطباعة والنشر.
- ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب بن حدير بن سالم الأندلسي. العقد الفريد. (١٤٠٤). ط١. بيروت: دار الكتب العلمية– بيروت.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري. مجاز القرآن. (١٣٨١). تحقيق: محمد فواد سزگين. القاهرة: مكتبة الخانجى.
- العمر، عبد الله. ظاهرة العلم الحديث. (١٩٨٣). عالم المعرفة.
- علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. (١٤٢٢/ ٢٠٠١). ط٤. دار السياقي.
- عيد، محمد. الاستشهاد والاحتجاج باللغة. رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث. (١٩٨٨). عالم الكتب.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. الجمل. (١٤١٦/ ١٩٩٥). تحقيق: فخر الدين قباوة. ط٥.
- فخري، هاني عبد الكريم. القبشري، مختار علوي. الكتاب للخليل بتأليف سيبويه. مجلة جامعة عدن للعلوم الإنسانية والاجتماعية. مارس ٢٠٢٣. ع٤. (١٠٥–١١٥).
- فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. (١٤٠٥/ ١٩٨٥). ضبطه وفسر غريبه: الشيخ بكري حياني. صححه ووضع فهارسه ومفتاحه: الشيخ صفوة السقا. ط٥. مؤسسة الرسالة.

- الفيروزأبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. (١٤٢١/٢٠٠٠). ط١. دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.
- القرشي، أو زيد محمد بن أبي الخطاب. جمهرة أشعار العرب. تحقيق وشرح: علي محمد البجادي. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة. (١٤٠٦/ ١٩٨٢). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافة.
- الكسائي، علي بن حمزة. ما تلحن فيه العامة. (١٤٠٣/ ١٩٨٢). تحقيق: رمضان عبد التواب. ط١. مكتبة الخانجي – القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي.
- مالك. أنس. الموطأ. (١٤٤٢/ ٢٠٠٣). تحقيق: سليم بن عيد الهلالي السلفي. مجموعة الفرقان.
- ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين:
  - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح. (١٤٠٥). تحقيق: طه محسن. ط١. مكتبة ابن تيمية.
  - شرح التسهيل. (١٤١٠/ ١٩٩٠). تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون. دار هجر.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. الكامل في اللغة والأدب. (١٤١٧/ ١٩٩٧). ط٣. القاهرة: دار الفكر العربي.

- مسلم، بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (١٣٧٤). ط١. دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- المطراوي، أسامة سيد. صناعة الحدود في التراث النحوي. مجلة الألسن للغات والعلوم الإنسانية. جامعة الأقصر. ع ١٦. يناير ٢٠٢٤. (٤٣٣- ٤٤٦).
- ابن الملقن، عمر بن علي. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير. تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي، وآخرون. (١٤٢٥). ط١. الخبر: دار الهجرة.
- مكرم، عبد العال سالم. الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي. مؤسسة الرسالة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. (١٤٠٢/ ١٩٨٤). تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع. ط١. دمشق- سوريا: دار الفكر.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم. الفهرست. (١٤٣٥/ ٢٠١٤). قابله بأصوله وأعده للنشر: أيمن فؤاد سيد. ط٢. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن- إنجلترا: مركز دراسات المخطوطات الإسلامية.
- النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي. إعراب القرآن. (١٤٢١). تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم. منشورات محمد علي بيضون. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- نصار، حسين. المعجم العربي نشأته وتطوره. ١٤٠٨/ ١٩٨٨. ط٤. دار مصر للطباعة.
- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم. المستدرك على الصحيحين، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير

وغيرهم. (١٤١١/ ١٩٩٠). دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم.
- (١٤١٢/ ١٩٩١). حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- آل ياسين، محمد حسين. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث. (١٩٧٨). ط١. بيروت: دار مكتبة الحياة. بيروت.
- اليعقوبي، محمد أبو الهدى. مدخل إلى صحيح البخاري. (١٤٤٠/ ٢٠١٩). ط١. لندن _ المملكة المتحدة: دار توقيعات. ط١.
- يوسف، قصي، وخلخال، سلام:

نظرية العامل في النحو العربي عند الدكتور كريم حسن ناصح الخالدي. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث. مج٣/ ع٣. ٣- ٢٠٢٣. (٢٠٤- ٢٢٢).